الوزير القرخاني الحاجب يوسف

وكتابه «قوتادغو بيليك»

بقلم:

ش. ثابت أوغلو



مركز الدراسات الأويغورية

الوزير القَرَخاني

يوسف خاص حاجب

وكتابه «قوتادغو بيليك»

ش . ثابت أوغلو

الوزير القَرَخاني

يوسف خاص حاجب

وكتابه «قوتادغو بيليك»

CENTER FOR UYGHUR STUDIES

مركز الدراسات الأويغورية

الوزير القَرَخاني، الحاجب يوسف وكتابه «قوتادغو بيليك»

الصنف	:	التاريخ والثقافة
اسم الكاتب	:	ش . ثابت أوغلو
دار النشر	:	مركز الدراسات الأويغورية
تصميم الصفحات	:	ع . آقهون
تاريخ النشر	:	٢٠٢٥م – ١٤٤٦ هـ
الترقيم الدولي	:	٩٧٨-٩٦٨٤٠٧-٣١-٥

مركز الدراسات الأويغورية

I St NW 1725
SUITE 372
Washington, D.C. 20006

www.uyghurstudy.org
contact@uyghurstudy.org

الإهداء

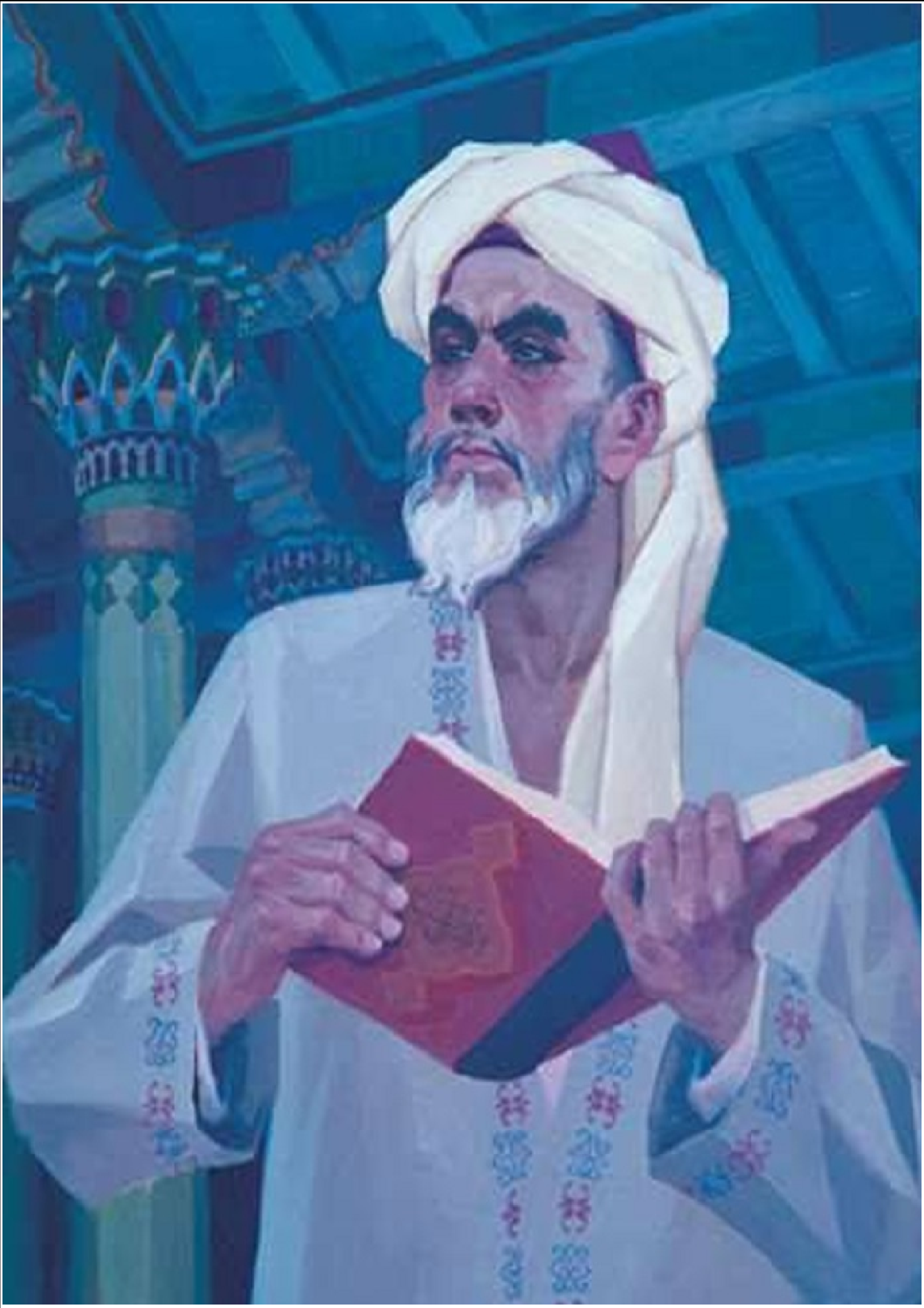
إلى أمي الحبيبة، ينبوع الحنان، وذي نجم يضيء لي الطريق، وركني كل نجاح حققته

إلى أبي الكريم، الذي علَّمني وربَّاني، وكان سندي وداعمي وقوتي في كل خطوة من حياتي

إلى أساتذتي الأفاضل، الذين غرسوا في قلبي حب العلم وساعدوني على بناء عقلي وروحي بمعارفهم وحكمتهم

إلى كل من وقف بجانبي وساهم في تحقيق هذا الإنجاز، وخاصة إلى أخي العزيز – نور الله قلبه بالإيمان والإخلاص

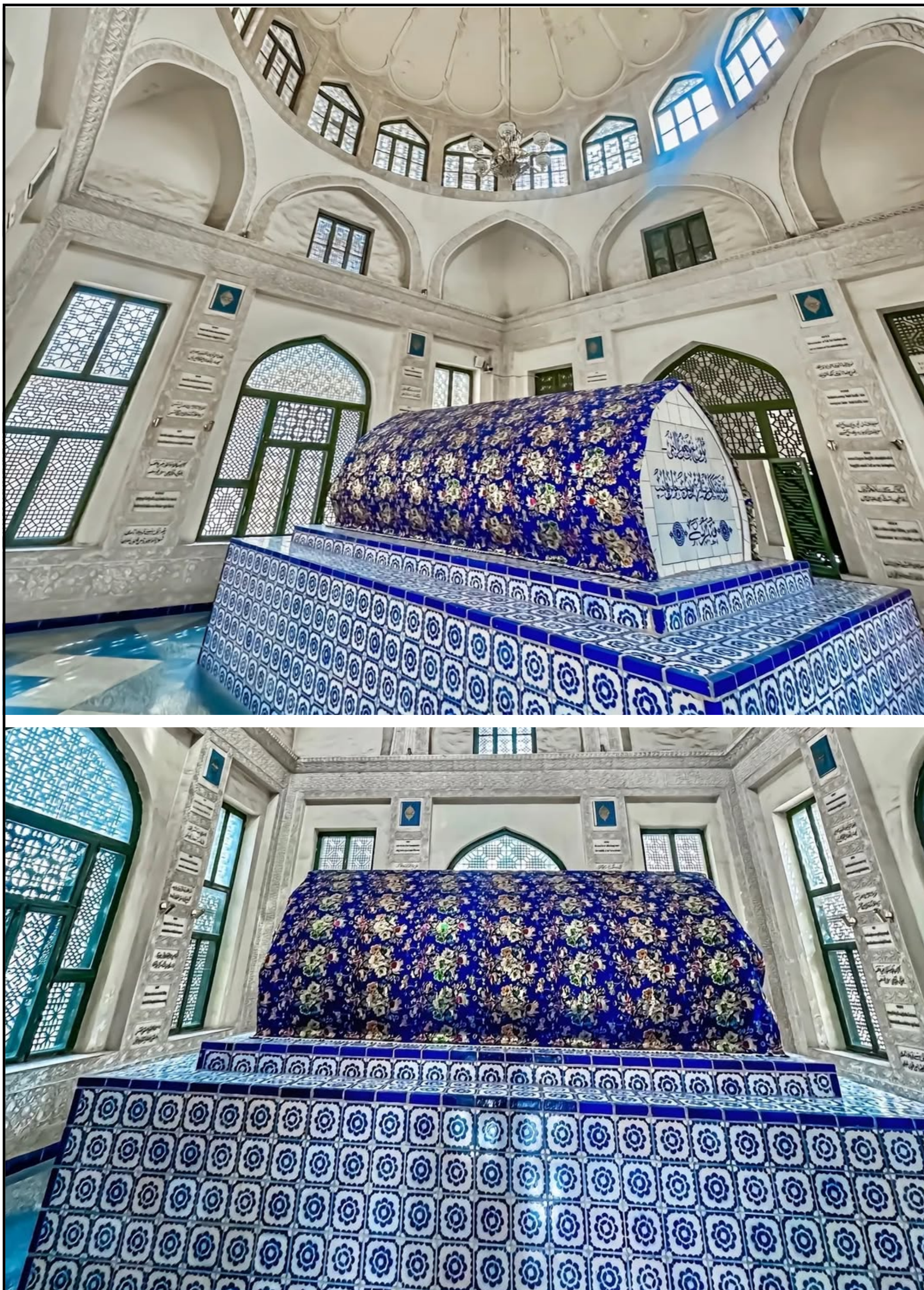
الفهرس



صورة خيالية للحاجب يوسف ، الفنان غازي أحمد



مقبرة الحاجب يوسف ، الواقعة في وسط مدينة كاشغر



قبر الحاجب يوسف من الداخل

المحتوى

اعتنق القَرَخانيون (٢٢٥ هـ - ٦٠٩ هـ) الإسلام في العقد الثالث من القرن العاشر، وسيطروا على أجزاء واسعة من تركستان، وكان لهم دور بارز في نشر الإسلام بين الأتراك.

كانت فترة حكمهم من أبرز الفترات التي شهدت ازدهارًا علميًا وثقافيًا، حيث شهدت إنتاج العديد من المؤلفات الرائدة في مختلف المجالات العلمية والفنية، كما برز فيها العلماء والمفكرون أثروا الحضارة الإنسانية بإسهاماتهم الغريزة وأعمالهم العظيمة. من بين هذه الأعمال الفريدة، يتصدر كتاب «قوتادغو بيلك» للوزير القَرَخاني ، الحاجب يوسف.

هذا الكتاب يُعدُّ علامة بارزة، وتراث إسلامية قيمة ؛ لأنه أول كتاب مكتوب باللغة التركية الأويغورية وصل إلينا من تلك الحقبة تميزت بطفرة علمية وثقافية هائلة .

كما يعتبر عملاً أدبيًّا وسياسيًّا وفلسفيًّا، يجمع بين الحكمة السياسية والأخلاق الإسلامية، ويهدف الكتاب إلى إرشاد السلاطين والحكَّام في كيفية إدارة الدولة وتحقيق العدالة الاجتماعية، وفقًا لمبادئ الإسلام. ويقدم الكتاب توجيهات قيمة حول أسس الحكم الصالح، مازجًا القيم الروحية الإسلامية بالأخلاق السياسية.

وكذلك يعكس هذا الكتاب، كيف تطورت اللغة التركية الأويغورية والثقافة التركية الأويغورية، وكيف اندمجت مع القيم الإسلامية، حيث كانت تلك الفترة الزمنية تعد جسرًا هامًا بين التقاليد التركية القديمة وبين الحضارة الإسلامية التي

أصبحت جزءًا أساسيًا من هوية الأتراك.

هذا الكتاب «قوتادغو بيلك»، يعكس أمام القرَّاء بوضوح مدى تأثير الإسلام على الفكر السياسي التركي وتطوره. كما يعبر عن رؤية شاملة لنظم الحكم المثالية، حيث دمج بين المبادئ الإسلامية والقيم الأخلاقية مع الحاجات السياسية والاجتماعية للمجتمع التركي آنذاك. وكذلك يرسم ملامح مجتمع فاضل يعتمد على القيم الإسلامية مثل العدالة، والمساواة، والشورى، مما ألقى بظلاله على تشكيل نظم الحكم والتوجهات الاجتماعية في تلك الحقبة المزدهرة.

في هذا البحث، تناولتُ حياة الوزير القَرَخاني ، الحاجب يوسف، متتبعًا ملامح شخصيته، ودوره البارز في الدولة القَرَخانية، بالإضافة إلى توضيح الأبعاد السياسية والاجتماعية والثقافية التي ميّز المجتمع الذي عاش فيه الحاجب، وأثر في فكره وإبداعه. كما قدّمت تعريفًا شاملاً لكتابه «قوتادغو بيلك» الذي يُعتبر من الأعمال الأدبية والفلسفية العظيمة في الثقافة التركية الإسلامية، مستعرضًا مكانته الفريدة وتأثيره الواسع في الأدب والفكر السياسي.

ويتضمَّن البحث أيضًا تحليلاً لمحتوى كتاب «قوتادغو بيلك» وما يشمله من مواضيع متعددة، كما يتضمن رؤيته الحكمة السياسية، والمبادئ الأخلاقية، وأصول إدارة الدولة، وقضايا المجتمع والعلاقات الإنسانية.

فإن إعلان عام ٢٠١٩ كعام لـ «قوتادغو بيلك» من قبل اليونسكو يعكس تقديرًا عالميًا لأهميته الثقافية والفكرية، ويعزز مكانته كمرجع أدبي وفكري في الحضارة الإسلامية عامة والحضارة التركية خاصة[١].

الكلمات المفتاحية: الحاجب يوسف، قوتادغو بيلك، الإمارة القَرَخانية، الأدب التركي، الأويغور.

[1] https://ajanda.ibu.edu.tr/kutadgu-biligin-gunumuz-dunyasindaki-yeri-ele-alindi/

مقدمة

وقد يعتبر هذا البحث «**الوزير القرَخاني يوسف خاص حاجب وقوتادغو بيلك**» محاولة صغيرة لإعادة استكشاف وتقديم شخصية فذَّة في التاريخ الإسلامي التركي وإسهاماتها الأدبية والفكرية العميقة، وهو يوسف خاص حاجب، الذي كان له دور بالغ التأثير في صياغة التراث السياسي والاجتماعي للعالم الإسلامي.

يعدُّ الحاجب يوسف من أبرز أعلام الدولة القَرَخانية، وهي الدولة التي شكَّلت نقطة تحول في تاريخ المنطقة وعبرت عن ثراء حضاري كبير. ويعدُّ كتابه الشهير «قوتادغو بيلك» – أو كما يُترجم بالعربية «علم السعادة» – أحد أهم الأعمال الأدبية والفلسفية التي ظهرت في تلك الفترة، حيث يضم بين دفتيه خلاصة فكرية تتناول فنون الحكم وقواعد السياسة ومبادئ الإدارة العادلة، وتؤكِّد أهمية القيم الأخلاقية في بناء مجتمع عادل ومتماسك.

في قلب هذا البحث، يظهر الحاجب يوسف كوزير بارع في بلاط القراخانيين، والذي أسهم بشكل كبير في توجيه سياسات الدولة، مؤكدًا على أهمية إقامة العدالة ونشر العلم وتطوير بنية مجتمعية قوية قائمة على المبادئ الإسلامية والإنسانية الرفيعة.

وقد تمكَّن من خلال موقعه كرجل من رجال الدولة، وركن من أركان الدولة، وكاتب وشاعر من نشر أفكاره، لتصبح مرجعًا فكريًا ليس فقط للحكَّام، وإنما أيضًا للعلماء والمثقفين وعامة الناس في عصره والعصور اللاحقة. وقد اتخذ «قوتادغو بيلك» مكانة فريدة ضمن الأدب السياسي في ذلك العصر،

متناولاً بأسلوب شعري حكيم قضايا جوهرية تتعلق بالحكم الرشيد، والعلاقات الاجتماعية، والأخلاق، ودور العلماء، والزواج، والأسرة.

وكذلك يعدُّ «قوتادغو بيلك» من أهم النصوص الأدبية الفلسفية التي ظهرت في ذلك العصر، وهو عبارة عن قصيدة مطوَّلة تضم أكثر من سبعة آلاف بيت شعري، وتستند إلى أسلوب بلاغي رفيع يجمع بين جمال التعبير وعمق الفكرة. يستلهم الكتاب مبادئه من الإسلام، حيث يسعى لتقديم نموذج للمدينة الفاضلة القائمة على العدل والمعرفة، والتي يحكمها سلطان عادل يلتزم بقيم الدين والأخلاق.

يتناول «قوتادغو بيلك» موضوعات متنوعة، تتراوح بين الحديث عن صفات الحاكم المثالي ومهام الوزير الصادق، ودور العلماء والمفكرين في توجيه المجتمع، وقضايا الزواج والأسرة، وكيفية بناء علاقات متينة بين أفراد المجتمع قائمة على الثقة والاحترام المتبادل. ولا يكتفي الوزير يوسف بتمجيد الحاكم العادل، بل يوضح أيضًا أهمية التوازن بين الحقوق والواجبات في كل علاقة إنسانية، مما يعكس نظرة متكاملة إلى دور الفرد والمجتمع في تحقيق السعادة والازدهار.

ولا يكمن الهدف من «قوتادغو بيلك» في تزويد الحاكم بنصائح عملية في الحكم والإدارة فقط، بل يشمل أيضًا في تزويد المجتمع بأدوات فكرية لبناء مجتمع صالح يسوده الاحترام والعدالة. ومن خلال تناوله لعدة موضوعات، يقدم حاجب رؤية شاملة تتجاوز الجوانب السياسية لتشمل الأخلاق والاجتماع والنفس، ليصبح الكتاب دليلًا لفهم العلاقات الإنسانية بمختلف مستوياتها.

يمثل «قوتادغو بيلك» انعكاسًا لعمق الفهم الفلسفي لدى يوسف خاص حاجب، حيث يعتبر أن السياسة يجب أن تستند إلى أخلاق رفيعة وقيم إنسانية سامية. ويشدِّد حاجب على أن الحاكم ليس مجرد قائد، بل هو أب روحي

لشعبه، فيجب أن يتحلى بالرحمة والتواضع، والشفقة واللينة، وأن يكون قدوة في التزامه بالقيم الإسلامية والإنسانية. ويعكس هذا الطرح فهم حاجب العميق للعلاقة بين السياسة والدين، حيث يطالب الحاكم بالعدل وتوفير الرعاية لشعبه، دون أن يغفل عن واجباته الأخلاقية.

كما يتناول حاجب أهمية التوازن بين العلم والقيم الأخلاقية في توجيه سلوك الأفراد. فالعلم، في نظر حاجب، ليس مجرد وسيلة لتطوير المجتمع، بل هو مسؤولية أخلاقية تقع على عاتق العلماء والمفكِّرين، الذين يجب أن يسخروا معرفتهم لخدمة المجتمع وليس لتحقيق مكاسب شخصية. ويعتبر حاجب أن وجود العلماء وتقديرهم يعدّ من أسس تطور المجتمع وازدهاره، مشدِّدًا على أهمية احتضانهم ودعمهم.

إلى جانب تناوله تلك المسائل للسياسة والحكم والقيم الأخلاقية، يستعرض الوزير يوسف في كتابه «قوتادغو بيلك» أيضًا مسائل تتعلق بالزواج والأسرة وأهمية بناء علاقات اجتماعية سليمة. يرى حاجب أن الأسرة هي اللبنة الأساسية لبناء مجتمع قوي، وأن الزواج يجب أن يكون قائمًا على القيم الأخلاقية والمعرفة، وليس مجرد وسيلة لتحقيق الرغبات الشخصية. ويقدم نصائح مهمة حول اختيار الزوجة المثالية، مشددًا على ضرورة توافر الفضيلة والعلم لدى الزوجة، مما يجعلها شريكًا فعالًا في بناء أسرة مستقرة وسعيدة.

كما يعبر حاجب عن ضرورة احترام النساء والتعامل معهن بكرامة، محذرًا من الانجراف وراء الشهوات السطحية التي قد تؤدي إلى تدمير الأسرة والمجتمع. وتوضح هذه الأفكار رؤية حاجب المتقدمة لدور المرأة في المجتمع، وضرورة أن يكون الزواج مؤسسة قائمة على الاحترام المتبادل والتفاهم.

فيمكن أن نقول: إن «قوتادغو بيلك» ليس مجرد نص أدبي أو فلسفي، بل هو رسالة إنسانية عابرة للزمان، تعكس رؤية الوزير يوسف المتقدمة للمجتمع

ودور الأفراد والحكام فيه، حيث يضع حجر الأساس لمجتمع قائم على العدالة والمعرفة، ملتزم بقيم الإسلام والإنسانية.

من خلال هذا الكتاب، أسعى إلى تقديم فهم شامل وعميق للحاجب الخاص يوسف وكتابه، مستعرضين رؤاه المتعددة ومساهماته الفلسفية والفكرية، ليكون بذلك مرجعًا للباحثين والمهتمين بدراسة الفكر السياسي الإسلامي والمجتمع.

الفصل الأوّل

حياة المؤلف يوسف خاص حاجب

1,1 اسمه
1,2 شخصيته
1,3 ولادته
1,4 مسيرته العلمية
1,5 وفاته

الفصل الأول: حياة المؤلف يوسف خاص حاجب

١,١. اسمه:

من الأمر الأسف أننا لا نملك معلومات كافية حول اسم هذا العالم الجليل، الذي يعتبر بمثابة «ابن خلدون» للشرق الإسلامي. لقد قدَّم هذا العالم عملاً بارزاً يتناول أسس الأخلاق الفاضلة والسياسة العادلة والنصيحة المخلصة للملوك والساسة، وشرَّح بشكل وافٍ كيفية إدارة شؤون الدولة، من أدقِّ التفاصيل إلى أعظمها. ومع ذلك، لم يرد في الكتاب أي ذكر لاسمه أو لقبه أو كنيته، سوى إشارة عابرة وغير مقصودة ضمن نصيحة لنفسه. لولا تلك الإشارة البسيطة التي حملت اسمه، أو لو لم تُسطر تلك الكلمة التي تحمل اسمه، لما كان بالإمكان معرفة هويته من خلال هذا العمل.

فذكر المؤلف اسمه في ختام أحد أبواب الكتاب، وهو «باب النصيحة الموجهة لنفسه». وقد برز اسمه بوضوح في هذا الموضع على أنه «يوسف»، فهذا البيت يُعد الإشارة الوحيدة إلى هويته وشخصيته في الكتاب[١].

البيت:

٦٦٢٦- كالعيون رقرقت ماء الزلال
كشجرة البستان لأهل الكمال

٦٦٢٧- قلت لي يا يوسف كلم بجد
كشجرة في مخصب جذر يجد

[1] ئەھمەد زىيائى، تارىخى مىراس قۇتادغۇ بىلىك توغرىسدا مۇھاكىمە ۋە بايان، 5.

٦٦٢٨- لا تكلم إلا بصدق ووفاء
نحن نزرع لا لصيف، بل للبقاء

٦٦٢٩- خذ بنصيب العين أهلا للبقاء
هم لعلم الخير أهل وأهل للوفاء

٢,١. شخصيته:

وإن كان المؤلف لم يفصح عن اسمه ونسبه بشكل واضح ومفصل – كما أُشير سابقًا – إلا أننا نستطيع استنباط بعض المعلومات عن شخصيته، وأخلاقه، ومكانته العلمية، وطبقته الاجتماعية من خلال ما ورد في مقدمة الكتاب. فقد تحدث فيها عن صاحب المؤلف دون أن يذكر اسمه أو نسبه بشكل مباشر، مما يوفر لنا دلالات غير مباشرة حول هويته وسماته[١].

كما ذكر في مقدمته النثرية التي كتبت بعد مقدمة النظم:

«قام رجل تقي ورع مولود في بالا ساغون لتأليف هذا الكتاب. ألَّف هذا الكتاب في كاشغر، وأهداه لملك المشرق تابغاج بغراخان[٢]. فأكرمه الملك وعينه لمرتبة «خاص حاجب» إكرامًا له[٣]. وانتشر شهرته إلى الأفاق بـ «أولوغ يوسف خاص حاجب»[٤].

٣,١. ولادته:

وُلِد العالم السياسي والاجتماعي، الفيلسوف الإسلامي، الأديب والشاعر

[1] 3. ئەھمەد زىيائى، تارىخى مىراس قۇتادغۇ بىلىك توغرىسدا مۇھاكىمە ۋە بايان، 5.

[2] هو حسن بن سليمان بن يوسف قدرخان، الملقب ب « هارون بغرا الثاني، تولى الحكم عام 594 هـ واستمر إلى عام 764 هـ، كان شجاعًا داهيًّا محبًّا للعلم وأهله، وكان بلاطه مزدهرة بالعلم والعلماء، وكان يدعمهم بلا حدود، حيث ازدهر الحركة العلمية والثقافية بشكل كبير. الأنساب، للزمباور، ص، 313. نۇرۇللاھ، تارىخمىزدىكي خاقانلار، ش: خەلىق نەشرىياتى، ص: 721.

[3] إيضاح المكنون ذيل كشف الظنون، 4/ 642.

[4] يۇسۇپ خاس ھاجىب، قۇتادغۇ بىلىك، قاھىرە نۇسخىسى، ش: خەلىق نەشرىياتى.

التركي البارز، الوزير الخاقاني الحاجب يوسف في مدينة بالا ساغون[١] إحدى عاصمة الدولة القَرَخانية[٢] التي تعدُّ أول دولة تركية اعتنقت بالإسلام[٣].

لا يمكننا الحصول على معلومات واضحة من كتاب المؤلف حول سنة ولادته، كما أنه لا توجد أي معلومات عنه في كتب التراجم المعروفة. ومع ذلك، يمكننا استنباط بعض المعلومات عن سنة ولادته من خلال تحليل النظم الوارد في خاتمة الكتاب، والتي تتضمن ما يلي:

٦٣٨٨- نعم القول قول الحكيم هو عالم
من جرب الزمان ذا هو جاهل

٦٣٨٩- الأيام آخر زمان تبدلت الأمور
الخيرون تغيروا إذا ذاق الفجور

٦٤٩٠- العاقل يعرف والمدرك يعلم
خرب الزمان الملك يعلم

٦٤٩١- الأبناء والبنات تركوا حرمة الآباء
شتيمة من الزوجة تتهم عجوز

٦٤٩٢- تبدل القانون والنظام بالكل
لا فرق بين البيض والسود وعليها طبول

[1] تقع داخل حدود قيرغيزستان اليوم.

[2] محمد قاسم أمين، محمد قاسم أمين، 9241. الإعلام لبعض رجالات تركستان، السعودية. مكتبة ملك الفهد الوطنية للنشر. مادة: يوسف خاص حاجب.
KUTADGU BİLİG. TDV İslâm Ansiklopedisi'nin 2002 yılında Ankara'da basılan 26. cildinde, 478-480

[3] يۇسۇپ خاس هاجىب، قۇتادغۇ بىلىك، قاهىرە نۇسخىسى، ش: خەلىق نەشرىياتى.

٦٤٩٣- هذه كلها علامات الساعة
إذا برزت علامة مشخصة مجسمة

٦٤٠٤- يحفظ الله إيماننا بالسلامة
ويهدم دار الفتن نشانه علامة

٦٤٩٥- كانت السنة اثنين وستين وأربعمائة
تممت كلامي وكتبت مئة في المئة

٦٤٩٦- على مدى علمي كذا كتبت
تقرؤوا تفهموا أنا ذا بسطت

٦٤٩٧- كيف العمل والحركة كيف تبدأ
قلت اليقين من أوله تبدأ

٦٤٩٨- درب الدنيا طرق الآخرة بينت
تتمسكن كلاهما احسبهما عينت

٦٤٩٩- تطلب الدنيا هذه صراطها
أو تطلب الآخرة فهذه دروبها

٦٥٠٠- الله يلهمك تلهم رشدك
لا تنتقم من أحد تمشي رسلك

٦٥٠١- إلهي بدأت اسمك بهذه الكلم
وكان رجائي وكنهه أنت عليم

٦٥٠٢- ما كان قصدي اسم أو شهرتي
ولكنه نفع العام لأهلي وجنبي

٦٥٠٣- إذا قرأ قارئ تذكرني
رجائي منه الدعاء له تهنئة

٦٥٠٤- وهذا مطلبي ومنه الرجاء
ويذكرني دوما فقط بالدعاء

٦٥٠٥- تفوه لساني ويدي سطر
لساني ويدي لأخرى تدخر

٦٥٠٦- ليدي ولساني هذا نشان
تركت لك العلم يا صاحب الشأن

٦٥٠٧- بالأحياء اقرؤوا هذا الكتاب
إذا أخذتني الأرض تحت التراب

وعلى الرغم من هذه الإشارة، إلا أن المؤرخين والباحثين اختلفوا في تحديد عام ولادة يوسف خاص حاجب، حيث تباينت أقوالهم. ومع ذلك، تشير معظم المصادر التركية إلى أن الحاجب يوسف وُلِد في العقد الثاني من القرن الخامس الهجري (٤١٠ هـ)، الموافق لعام ١٠١٨ ميلادي[١]. وذهب أحمد ضيائي أنه ولد في عام ١٠١٩م، الموافق لعام ٤١٢ الهجري[٢].

٤,١. مسيرته العلمية:

لقد نشأ الحاجب يوسف في التركستان خلال القرن الخامس الهجري، وهو قرن تميّز بازدهار العلوم الإسلامية بكل أنواعها.

فظهر عدد كبير من العلماء البارزين في شتى العلوم، وكان لهم دورٌ كبير في

[1] Agop Dilaçar, Kutadgu Bilig İncelemesi, Türk DikKurumu Yay., Ankara 1995, s. 21

[2] ئەھمەد زىيائى، تارىخى مىراس قۇتادغۇ بىلىك توغرىسدا مۇھاكىمە ۋە بايان، س: **9**.

نشر المعرفة الإسلامية، حيث امتدت إسهامات هؤلاء العلماء من أقصى الشرق، الصين المتاخمة للتركستان، إلى أقصى الغرب في الأندلس، فأضاءوا بعلمهم وأفكارهم جوانب الحياة المختلفة وساهموا في تقدم الحضارة الإسلامية.

برز الحاجب يوسف منذ نعومة أظفاره بذكائه وقدراته الفكرية المتميزة، وتلقى تعليمًا متينًا في العلوم الشرعية، والأدبية، والفلسفية في مدارس الدولة القَرَخانية، التي كانت تشتهر بجمعها بين العلوم النقلية: كالفقه، والحديث، والتفسير. والعلوم العقلية: كالمنطق والفلسفة.

وكان ملوك وسلاطين القراخانيين يوفرون دعمًا كبيرًا للتعليم والعلماء، مما ساهم في ازدهار الحركة العلمية في التركستان آنذاك. وتلك البيئة العلمية الغنية وفرت للحاجب الخاص يوسف فرصة استثنائية لتطوير معارفه ومهاراته، مما ساعده على التفوق والتميز بين أبناء جيله.

عاش الوزير يوسف في فترة تاريخية غنية بالتغيرات والتحولات الثقافية في منطقة تركستان، إذ كانت تركستان آنذاك ملتقىً هامًا للثقافات والحضارات الإسلامية التركية والفارسية والعربية. هذه الفترة شهدت تداخلًا حضاريًا واسع النطاق، ساهم في خلق بيئة ثقافية متنوعة. وقد أُلهِمَ الحاجب يوسف بهذه التنوعات الثقافية والدينية والاجتماعية التي سادت عصره، ما ساعده على تكوين فكرٍ متسع الأفق، أهلّه ليكون من أبرز مفكري زمنه.

وفي وسط هذا المشهد الحضاري المتنوع، استطاع الحاجب يوسف أن يجذب اهتمام حكام الدولة القَرَخانية، وعلى وجه الخصوص الحاكم بغراخان أبو الحسن بن سليمان أرسلان خان، الذي قدر يوسف وأعجب بعلمه الواسع وفكره الثاقب. كان الحاجب يوسف بالنسبة للحاكم ليس مجرد وزير يدير شؤون الدولة فحسب، بل كان مستشارًا مخلصًا يقدم رؤى ونصائح تمتد إلى ما هو أبعد من السياسة، إذ كان يوجه الحاكم ويقدم له إرشادات تقوم على الأخلاق والقيم النبيلة.

ومن منطلق رؤيته الثاقبة ورغبته في دعم العدالة وتعزيز الفضيلة، بدأ الحاجب يوسف في وضع كتابه «قوتادغو بيلك». وقد صمَّم هذا الكتاب ليكون بمثابة «دستور» للشعب التركي بكافة قبائلها وبطونها، حيث أسَّس فيه لقيام مجتمع تسوده العدالة ويقوده حاكم عادل يقدر العلم ويشجع المعرفة.

رؤية الوزير يوسف للمجتمع كما جسدها في كتابه تعكس طموحاته في أن تكون الأمة نموذجًا حضاريًا يرتكز على العلم والقيم السامية، ويحترم مكانة العلماء والمفكرين، ويشجع الحكام على دعم المبادئ التي تحقق التوازن والازدهار للأمة.

٥,١. وفاته:

لم نعثر على أي معلومات مؤكدة حول وفاة الوزير يوسف، كما لم نجد تفاصيل دقيقة حول ولادته، باستثناء بعض الإشارات الواردة في النظم، كما هي:

٦٥٢١- أمضيت الشباب كأنه سحاب
كرياح الأعاصير ذهب الشباب

٦٥٢٢- أسفي الشباب أسفي شباب
ما إن تشبثت ولا استجاب

٦٥٢٣- وليت الشباب تعود غدا
ترجع إلي بدرب العدن

٦٥٢٤- إلهي شبابي خرج ولم يعد
أجهل مكانه ذهبت لم أعد

٦٥٢٥- نعم الحياة في عهده لذيذ
كان زمانه علينا عزيز

٦٥٢٦- كنت غلامًا فتىً العندليب
ذهب زمانه كأنه عن قريب

٦٥٢٧- لا عيب في العجز إذا يستطيب
ملام ذوقه متى يستطيب

٦٥٢٨- أسفي إليه محبوبي شباب
ضيعت ضيعت ضيعت الرباب

٦٥٢٩- كنت شابًّا وردة الخدود
صار مزعفرًا أصفر الوجود

٦٥٣٠- مثل العود سوادًا صندل الجسد
على الرأس رشت كافور الحسد

٦٥٣١- كشمس الأغسطس كنت ضياء
خسف العواصف ضاع الضياء

٦٥٣٢- وقدي وقامتي كانت مستقيم
تقوس ظهري قط لا يستقيم

٦٥٣٣- أسفت كثيرًا لضياع الشباب
بكيت كثيرًا في وقت الكباب

٦٥٣٤- طفولتي ضاعت وضاع الشباب
نهاري قاتم كليلي ضباب

٦٥٣٥- ومن حيث عيشته غنمت الوقت
أكلت شربت بلا هات هيت

٦٥٣٦- كنت صقورًا في وقت القنص
ويعدو جياد وصيده يلتمس

من خلال تحليل هذه الأبيات، يمكن الافتراض أن المؤلف عاش أكثر من ستين عامًا. فقد تضمنت الأبيات إشارات إلى حزنه العميق على شبابه الماضي، ومن المعلوم أن الشخص الذي عاش خمسين أو ستين عامًا عادة لا يشعر بهذا الحزن العميق تجاه شبابه، مما يشير إلى أنه قد عاش فترة أطول. وقضى بقية حياته في خدمة الدولة القَرَخانية، حتى وافته المنية في مدينة كاشغر، التي كانت عاصمة الدولة، في حوالي عام ١٠٨٠م.

ويؤيد هذه الاحتمالات ما ورد في «بحر الأنساب» لملا حسين، حيث ذكر أن الحاجب يوسف توفي في عام ٤٧٨ هـ[١].

[1] ئابدۇشكۇر مۇھەممەد ئەمىن، قۇتادغۇ بىلىك خەزىنىسى، (ش: ئۇنۇۋرسىتېتى نەشرىياتى، 9991)، س: 52.

الفصل الثاني

عصر يوسف خاص الحاجب

2/1. الحالة السياسية في عهد يوسف خاص حاجب

2/2. الحالة العلمية العامة عند يوسف خاص حاجب

2/3. الحالة الاجتماعية في عصر الوزير يوسف

2/4. الحيـــاة العلميـــة في بلاد تركســـتان في عهـــد الإمـــارات القَرَخانيـــة

2/5. مصادر علم يوسف خاص حاجب

الفصل الثاني: عصر يوسف خاص الحاجب

١,٢. الحالة السياسية في عهد يوسف خاص حاجب

عاصر الحاجب يوسف فترةً من الازدهار والتوسع في تاريخ الإمارة القَرَخانية، التي كانت تعدّ من أقوى الإمارات التركية في ذلك الوقت، وأول إمارة تركية اعتنقت الإسلام[١].

فقد تأسست الإمارة القَرَخانية[٢] في مناطق تركستان الشرقية بعد سقوط دولة الأويغور على يد القرغيز بيد «بيلكا كول قادرخان»، الخاقان الأول للدولة في فترة ٨٤٠– ٨٨٠م[٣].

وامتد نفوذها من «ما وراء النهر» حتى حدود الصين، واستطاعت أن تحافظ على استقلالها وقوتها لعدة قرون، حيث استمر حكمها منذ عام ٨٤٠م – حتى ١٢٢٧م[٤].

تميّزت الدولة القَرَخانية باحتضان الإسلام ودعمه، وكان هذا التحوّل الديني من أهم العوامل التي عزت مكانتها كقوة إقليمية ذات نفوذ كبير، إذ سعت إلى

[١] إدريس محمد محمود، تاريخ العراق والمشرق الإسلامي خلال العصر السلجوقي الأول، القاهرة: مكتبة نهضة الشرق، ١٩٨٥). ص١٧٨. الداقوقي، حسين علي، الحركة الفكرية في عهد الدولة القراخانية، عمان: الجامعة الأردنية، ١٩٩٣). **ص١٤٠.**

[٢] كلمة «قارا خان» تعني: الأسود، يقصد به المبالغة في القوة، وكلمة «خان»، تعني السلطان، والملك، وبهذا لا توصف بهذه الكلمة إلا ملوك هذه الإمارة القَرَخانية.

[٣] سليمان سيدي، ملخص ألفيتين من تاريخ التركي، ٢٠١٤، أنقرة: وزارة الثقافة والسياحة، ص: ٤٤. قه ديَكي ئويغورلار وه قاراخانيلار، ص ٢٣١.

[٤] وبعض المؤرخين يقولون: ١٢١٢م.

نشر الإسلام بين شعوب المنطقة، مما ساهم في زيادة نفوذها وتوسيع امتدادها الثقافي والديني. وقدرت مدة حكمهم بعد اعتناق الإسلام تحت قيادة السلطان عبد الكريم سطوق بغراخان[١] بنحو ٣١٠ سنوات، فيما امتد حكمهم كاملاً منذ تأسيس إمارتهم قرابة خمس قرون، ما جعلها واحدة من أطول الدول التركية الإسلامية عمرًا.

فإن القَرَخانية هم قبائل تركية الأصل، استقرت في منطقة «تركستان الشرقية» حاليًّا، حيث نجحت هذه القبائل في إقامة إمارة إسلامية امتدت نفوذها من مناطق ما وراء النهر وصولاً إلى الصين.

وقد عاصرت الإمارة القَرَخانية العديد من الدول الإسلامية في الشرق والغرب، حيث تزامن وجودها مع قوى كبيرة في منطقة آسيا الوسطى، مثل السامانيين والغزنويين والخوارزميين. وعلى صعيد آخر، تداخلت في علاقاتها مع الخلافة العباسية في بغداد والدولة البويهية والسلاجقة حينذاك.

وفي المغرب والأندلس، عاصرت إمارة القَرَخانيون الدولة الأموية، والدولة العامرية، ودولاً إسلامية أخرى مثل دولة الأدارسة ودولة بني زيري وبني عباد وبني الأحمر، بالإضافة إلى دول المرابطين والموحِّدين.

وفي بلاد الشام ومصر، عاصرت الدولة القَرَخانية عدداً من القوى الإسلامية المختلفة، بما في ذلك الطولونيين والإخشيديين والفاطميين، إلى جانب الأيوبيين والأتابكة في عصور لاحقة. لقد ساهمت هذه العلاقات المتعددة التي نشأت بين الدولة القَرَخانية والدول الأخرى في تنوّعها الثقافي وتأثيرها الحضاري.

[١] ابن الأثير، ٩/١١٦. ابن خلدون، ١٩٨٨. ٤/٥١٢. بارتولد، بلا ت. ص٣٨٨. سعد حذيفة الغامدي، ١٩٩٦. ص،٤٤٩.(Ömer Soner. s.121. Skrine and Ross. P.119).

تعدّ هذه الخلفية التاريخية والسياسية ذات أهمية بالغة لفهم الدور الثقافي والفكري والسياسي البارز الذي لعبه الوزير يوسف خاص حاجب، حيث نشأ في ظل ازدهار علمي وثقافي شهدته التركستان الكبرى، وسط ثقافات متنوعة وأديان وحضارات متقاربة.

فقد كان لهذه البيئة المحيطة تأثيرٌ كبيرٌ على تكوينه الفكري، وساهمت في إثراء معارفه وتوجهاته، إذ تلقى تعليمًا رفيعًا في العلوم الشرعية والفلسفية والأدبية، ما ساعده ليصبح أحد أبرز السياسيين والمفكرين والأدباء في زمانه.

اهتم السلاطين والأمراء القَرَخانيون بتقوية علاقاتهم السياسية مع الخلافة العباسية، وذلك لتأكيد ولائهم للخلافة الشرعية للعالم الإسلامي ولتعزيز مكانتهم الدينية والسياسية. إذ عمل الحكام القَرَخانيون على الحصول على دعم الخلافة العباسية، وهذا ما تمثل في الألقاب الفخمة التي منحها لهم الخلفاء العباسيون كتعبير عن حسن العلاقة. فقد منح الخليفة العباسي لقب «نصير الدولة» و»ملك المشرق» لقدرخان يوسف بن بغراخان الأمير القَرَخاني للبخارى، ولقب «عماد الدولة» و»تاج الملة» و»سيف خليفة الله» للأمير القَرَخاني في سمرقند، إبراهيم تابغاج خان. كذلك، أرسل الأمير القَرَخاني أحمد بن آرسلان خان رسولاً إلى الخليفة العباسي المستظهر بالله، الذي منحه بدوره لقب «نور الدولة»، كنوع من التقدير والاحترام المتبادل بين الطرفين[١].

عكست هذه الألقاب الفخمة مكانة الإمارة القَرَخانية وأهميتها السياسية والدينية، كما أظهرت عمق الاستقرار بين الدولة العباسية والإمارات القَرَخانية في تركستان. وإضافة إلى تبادل السفراء والرسائل، كانت هناك جهود لتوطيد العلاقات عبر شخصيات علمية وفقهاء، حيث بعث الأمير القَرَخاني محمد بن

[١] سعاد هادي، علاقة القراخانيون مع الخلافة العباسية،
https//:portal.arid.my/ar-LY/Posts/Details/fda1896d-5292-4948-8375-ce900a79bf24?t=علاقة%20القراخانيون%20مع%20الخلافة%20العباسية

سليمان، الملقب بـ «الخاقان»، الفقيه أبا علي الحسين بن علي اللامشي إلى الخليفة المسترشد بالله، في إشارة إلى التواصل الثقافي والديني بين الإمارة والخلافة.

شهد الوزير يوسف عهد العديد من أمراء القَرَخانيون الذين أسهموا في استقرار هذه العلاقات وتوطيدها، وتابع تطورات الإمارة بين زعماء من أمراء إليك خان[١] القَرَخانية الغربية مثل شمس الملوك نصر بن طبغاج خان، وخضرخان بن طبغاج خان، وأحمد خان، ومحمود خان، ومحمد آرسلان خان، وأبو المعالي حسن تكين قلج خان.

وفي الشرق، شهد حكم أمراء آخرين، من بينهم طغرل قارا تكين بن طغرل خان، وهارون بغراخان، ويوسف قدرخان، ونور الدولة أحمد بن حسن بن آرسلان خان، وإبراهيم بن أحمد خان[٢].

إن اهتمام الأمراء القَرَخانيون بعلاقتهم مع الخلافة العباسية كان له أثر كبير في تعزيز قوتهم الإقليمية، كما دعم الدور الثقافي والعلمي في تلك المناطق، ما جعل تركستان مركزًا للحضارة الإسلامية، يشع بالعلم والفكر، ويستقطب العلماء والمفكرين، مما هيَّأ بيئة مثالية للحاجب الخاص يوسف وأمثاله من العلماء والمفكرين للابتكار والإنتاج الفكري، وتجسيد مفاهيم العدالة والسياسة الرشيدة التي دافع عنها في مؤلفه الشهير «قوتادغو بيلك».

وكذلك، شهد العصر الذي عاش فيه هذا الوزير، تنوعًا هائلًا في التركيبة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وكان مجتمعًا مفعمًا بالنشاط في كافة جوانب الحياة من حيث العمران، والتجارة، والعلم، والفكر. فكما كان الخليفة العباسي في بغداد يتربع في الصدارة الدينية والسياسية، كانت الإمارات الإسلامية المستقلة

[١] سُمِّي إليك خان بهذا الاسم نسبة إلى اللقب الذي كان يُطلق على الأمراء أو الحكام الذين أداروا تركستان الغربية نيابةً عن الخاقان الأعظم في كاشغر، مركز الحكم للإمبراطورية القَرَخانية.

[2]

تساهم في ازدهار الحضارة الإسلامية وتوسعها. ومن أبرز تلك الإمارات إمارة القَرَخانيون، الذين نجحوا في توطيد الإسلام بين الأتراك الشامانيين والبوذيين والبراهمانيين الذين عاشت التركستان تحت هذه الاعتقادات الباطلة قرونا طويلة[١].

وتمثلت الطبقات الاجتماعية الرئيسية في ذلك العصر في الخليفة والأمراء وأسرهم، يليهم العلماء والزهاد والصوفية الذين كانوا يحتلون مكانة روحية عالية. كما كان للتجار والمزارعين والحرفيين دور كبير في بناء الاقتصاد، في حين كان يُنظر إلى العلماء والمفكرين كعنصر أساسي في المجتمع، إذ أُعطيت لهم أهمية كبيرة وبرز منهم العديد في المجالات العلمية والفكرية، بما في ذلك الأدب والعلوم الشرعية والفلسفة.

أما من الناحية العمرانية، فقد كانت إمارة القَرَخانيون، كبقية الإمارات الإسلامية، تنبض بالحياة، حيث شيّدت المساجد والمدارس والحمامات والخانات والرباطات في مختلف المدن[٢].

وكانت بخارى وسمرقند من أبرز المدن التي شهدت حركة عمرانية كبيرة، إذ زُيّنت بالمساجد والمآذن والمدارس الإسلامية. ومثلها نيسابور وبغداد، حيث سعى الوزير نظام الملك إلى نشر التعليم من خلال بناء المدارس والمراكز العلمية التي جذبت الطلاب من شتى أنحاء العالم الإسلامي.

امتد نور الحضارة الإسلامية إلى الأندلس، التي كانت تزدهر بعمرانها وثقافتها وتقدمها العلمي، حيث انتشرت المدارس والقصور والمراكز العلمية في قرطبة وغرناطة وإشبيلية، وأصبحت رمزًا لتفوق الحضارة الإسلامية في الغرب.

إلى جانب ذلك، كان المجتمع في هذا العصر يضم تنوعًا عرقيًا ولغويًا واسعًا، إذ كانت الدولة الإسلامية تجمع تحت رايتها شعوبًا مختلفة الأصول

[1]

[٢] محمد أمين بغرا، تاريخ تركستان الشرقية، ص: ٢٦٩.

والأعراق من العرب والفرس والأتراك والروم، والأرمن، واليونان، والهند، وغيرهم. أسهم هذا التنوع في إغناء الحضارة الإسلامية، وأصبحت تلك الشعوب تتكامل ضمن إطار الأخوة الإسلامية، متحدةً تحت مظلة الخلافة.

لقد شكّل هذا التمازج الثقافي والازدهار العمراني بيئةً مثالية لنشأة شخصية فكرية كيوسف خاص حاجب، الذي استطاع الاستفادة من هذا التنوع الثقافي والتقدم الحضاري ليُخرج مؤلَّفه الشهير قوتادغو بيلك، الذي يعد مرجعًا قيمًا في الأخلاق والسياسة والاجتماع، ويحمل في طياته توجيهات لمجتمع متكامل يسوده العدل والفضيلة.

٢,٢. الحالة العلمية العامة عند يوسف خاص حاجب

في القرن الخامس الهجري، الذي عاش فيه يوسف خاص حاجب، شهد العالم الإسلامي ازدهارًا علميًا وثقافيًا كبيرًا، حيث كانت العقول قد نضجت وتشكلت أودية الفكر وازدهرت مختلف الفنون والعلوم الإسلامية. فبفضل الله، وُلد في هذا القرن مشايخ وسادة في مختلف العلوم والفنون، مما أسهم في تقدم الأمة الإسلامية وتعزيز عقولها وثقافتها عبر انتشار العلوم والمعرفة[١].

اتسمت هذه الفترة بحركة علمية شاملة، فقد بُنيت المدارس في أرجاء واسعة من العالم الإسلامي، وكان الهدف من تأسيس هذه المدارس هو نشر التعليم وتوفير منابر علمية للأجيال القادمة. كما امتلأت المساجد بحلقات المواعظ، التي قدمها كبار العلماء والمتصوفة، حيث كانوا يقدمون الإرشادات الدينية والوعظ بأسلوب حسن. هذا الجو العلمي والثقافي أنتج بيئة مفعمة بالجدل الفكري والنقاشات العلمية، وكان للمجالس العلمية والمناظرات دور كبير في إثراء الفكر الإسلامي، لا سيما النقاشات بين الأشاعرة والمعتزلة وغيرهم من

[١] محمد أمين بغرا، تاريخ تركستان الشرقية، ص: ٢٦٦.

المدارس الفكرية، التي ساهمت في بلورة مفاهيم فلسفية وعقائدية عديدة. ومع انتشار هذه المناظرات والنقاشات الفكرية، ازدهرت حركة التأليف، وبرزت العديد من العبقريات في مجالات العلم، والفكر، والسياسة، والفنون.

لقد عاصر الحاجب يوسف العديد من العلماء البارزين الذين ساهموا في تطور العلوم والفنون، ومنهم عبد السلام بن محمد بن يوسف القزويني المعتزلي[١]، وأبو بكر النيسابوري البيهقي[٢]، وعبد القاهر البغدادي[٣]، وأبو المظفر الأسفرائيني[٤]، ونجم الدين عمر النسفي[٥]، وابن حزم الظاهري[٦]، والإمام الشهرستاني[٧]، وابن سينا، والحسن بن الهيثم، والإمام القشيري[٨]،

[١] عبد السلام بن محمد بن يوسف بن بندار القزويني، المعتزلي، الزيدي: عالم، مفسر، أصولي، محدث، مولده سنة ٣٩١ ه وقيل سنة ٣٩٣ ه، ومات في بغداد سنة ٤٨٨ ه في ١٤ ذي القعدة. أعلام المؤلفين الزيدية، ١/ ٥٢٤.

[٢] أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني البيهقي المشهور بالبيهقي، ولد في بيهق ٣٨٤، وتوفي سنة ٤٥٨ هـ. سير أعلام النبلاء، ١٦٤/١٨. أبو الفرج بن الجوزي، المُنتظم في تاريخ المُلُوك والأُمم، ١٦/ ٩٧.

[٣] أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي التميمي، متكلم من أئمة الأصوليين وأعيان فقهاء الشافعية أحد أعلام الأشاعرة في نهاية القرن الرابع وبداية القرن الخامس. مات بإسفرايين في سنة تسع وعشرين وأربع مئة. السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ٥/ ١٣٦.

[٤] أبو المظفر شاهفور بن طاهر بن محمد الإسفراييني، أصولي، مفسر، وفقيه من فقهاء الشافعية. وهو من كبار أئمة أصول الدين وعلم الكلام. توفي الإسفراييني بطوس سنة ٤٧١ هـ. عادل نويهض، مُعجم المُفسّرين، ٢٢٧/١.

[٥] هو أبو حفص، عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل بن لقمان الحنفي النسفي ثم السمرقندي. لقبه نجم الدين، وكان يلقب بـ«مفتي الثقلين» أيضاً (٤٦١ ـ ٥٣٧ هـ/ ـ ١١٤٢م)، فقيه عالم في أصول العقيدة. وهو صاحب العقيدة النسفية. وبعد حياة حافلة بالنشاط والعلم وافاه الأجل بمدينة سمرقند في ١٢ جمادى الأولى عام ٥٣٧ هـ، وله من العمر ٧٦ سنة. الزركلي، الأعلام، ٥/ ٦٠.

[٦] هو أبو مُحَمَّدٍ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ سَعِيدِ بْنِ حَزْمِ بْنِ غَالِبِ بنِ صَالِحِ بن خَلَفِ بْنِ مَعْدانَ بْنِ سُفْيانَ بْنْ يَزِيدَ اَلْأَنْدَلُسِيُّ القُرْطُبِيُّ، يعد من أكبر علماء الأندلس وأكبر علماء الإسلام تصنيفًا وتأليفًا بعد الطبري، وافته المنية عشية يوم الأحد ٢٨ شعبان ٤٥٦ هـ/١٥ يوليو ١٠٦٣. محمد أبو زهرة، ابن حزم حياته وعصره، ص٢٧.

[٧] هو أبو الفتح تاج الدين عبد الكريم بن أبي بكر أحمد المشهور بالشهرستاني. ولد حوالي سنة ٤٧٩ هـ/١٠٧٦م، في شهرستان الجوزجان، من أعمال خُراسان «أفغانستان حاليا»، وبها نشأ وتعلّم. توفي سنة ٥٤٨هـ/١١٥٣م. الشهرستاني. ضمن موسوعة أعلام الفكر الإسلامي. القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميّة. ص ٥١٣-٥١٤.

[٨] هو عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة أبو القاسم القشيري (٣٧٦ - ٤٦٥ هـ) إمام الصوفية، وصاحب الرسالة القشيرية في علم التصوف، ومن كبار العلماء في الفقه والتفسير والحديث

والإمام ابن فورك[١]، والإمام الجويني[٢]، وغيرهم.

إلى جانب هؤلاء، شهدت الإمارات القَرَخانية ظهور علماء بارزين في مختلف العلوم، حيث استفادت منطقة التركستان الكبرى من تطور العلوم وانتشارها في أنحاء العالم الإسلامي، وأصبحت مركزًا تعليميًا وفكريًا مميزًا.

وبذلك إسهامات هؤلاء العلماء الكرام، صارت الشريعة الإسلامية، والمظهر الإسلامي في المجتمع سائدا أساسيا، بحيث تجلى نور الشريعة في كل نواحي حياة عامة الناس وخواصهم، وفيه يقول بارتولد: وفي هذا الصدد يقول المؤرخ الروسي بارتولد: مقارنة بين حكام الدولة القَرَخانية وحكام الدولة الغزنوية في تمسكهم بالدين وتطبيقهم الشريعة: «والقَرَخانيون الأوائل أكثر تمسكا بتعاليم الإسلام من محمود ومسعود.. ولم يكن الدين في أعين القراخانيين وسيلة للحفاظ على عرشهم فحسب، بل كانت تعاليمه تطبق على الجميع بما في ذلك الملوك»[٣].

٣,٢. الحالة الاجتماعية في عصر الوزير، الحاجب يوسف:

كان المجتمع في عصر الوزير يوسف معقدًا ومتعدد الطبقات، فقد تميز بتركيب اجتماعي ينطوي على تفاعل واسع بين فئات متنوعة من الناس مع تنوع الأعراق والديانات. يمكن تقسيم المجتمع في تلك الحقبة إلى عدة طبقات، مثلما كان الحال في معظم الدول الإسلامية في تلك الفترة.

والأصول والأدب والشعر، الملقب بـ «زين الإسلام».

[١] هو الإمام المتكلم المفسر الفقيه الأصولي النحوي الأديب أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني الشافعي الأشعري، له ما يقرب من المئة مؤلف في أصول الدين وأصول الفقه ومعاني القرآن وعلم الحديث. اعتبره ابن الأثير من المجددين في الإسلام. عادل نويهض ٢/ ٥١٤.

[٢] هو إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجُوَيْني الشافعي الأشعري (٤١٩-٤٧٨هـ / ١٠٢٨-١٠٨٥م)، فقيه وأصولي ومتكلم شافعي. ويذكر أنه كان يلقب بركن الإسلام. السبكي، طبقات الشافعية الكبرى: ١٧٣/٥.

[٣] بارتولد، تركستان، ص: ٤٥٢.

الأول: الخليفة والسلاطين:

في قمة الهرم الاجتماعي كان الخليفة، الذي يمثل أعلى سلطة سياسية ودينية، تليه الطبقات العليا من الأمراء الذين حكموا الأراضي المختلفة مثل القَرَخانيون والسلاجقة، بالإضافة إلى أمراء آخرين في مناطق أخرى. كان هؤلاء الأمراء يسعون لحماية الخلافة وتوسيع نفوذهم العسكري والسياسي، وكان لهم دور محوري في تطور المجتمع من خلال الدعم المالي والعسكري والثقافي.

فالقَرَخانيون بايعوا الخلافة العباسية ودعوا للخليفة على منابرهم، ونقشوا على الدنانير والدراهم التي ضربت في إمارتهم ما يدل على تبعهم للخليفة، مثل: سيف خليفة الله[١].

كما يدل على علاقة القَرَخانيون مع الخلافة العباسية تقديم الأمير القَرَخاني محمود الكاشغري كتابه الشهير «ديوان لغات الترك» حينما أكمله كهدية للخليفة العباسي أبي القاسم عبد الله بن محمد المقتدى بأمر الله، يقول في مقدمة كتابه: وضعت كتابي هذا مستعينا بالله تعالي موسما بـ «ديوان لُغات الترك» برسم الحضرة المقدسة النبوية الإمامية الهاشمية العباسية، سيدنا ومولانا أبى القاسم عبد الله بن محمد المقتدي بأمر الله أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين[٢].

الثاني: العلماء والصوفية والزهاد:

كان للعلماء والصوفية والزهاد مكانة مهمة في المجتمع في تلك الفترة، حيث شكلوا أحد الأسس الرئيسية لفهم الدين وتنظيم الحياة الاجتماعية. فالعلماء كانوا الحافظين للعلم الشرعي والفكري، واهتموا بتدريس العلوم

[١] بارتولد، تركستان، ص: ٤١٠.
[٢] محمود الكاشغري، ديوان لغات الترك، ص ٣.

الشرعية والدنيوية. وأما الصوفية والزهاد لعبوا دورًا كبيرًا في المجتمع، حيث كانوا يسعون إلى التقرب إلى الله عن طريق الزهد والتقوى والتربية الروحية.

الثالث: التجار والحرفيون:

كان التجار والحرفيون يشكلون جزءًا أساسيًا من الحياة الاقتصادية في المجتمع، إذ كانوا يساهمون بشكل كبير في حركة التجارة بين الشرق والغرب، ويقومون بنقل السلع والبضائع عبر مختلف الطرق التجارية. وكان هناك ازدهار كبير في الأسواق مثل سوق بغداد، وأسواق سمرقند، وكاشغر التي كانت تمثل مراكز حيوية للتبادل التجاري.

الرابع: الفلاحون والمجتمع الريفي:

كان الفلاحون يشكلون غالبية المجتمع، حيث كانوا يعملون في الزراعة والرعي، وكانت الحياة الريفية تمثل أساسًا للحياة الاقتصادية. كانت الأراضي الزراعية محورية في توفير الغذاء والموارد للمجتمع.

الخامس: تركيب المجتمع:

تميز المجتمع في عصر الغزالي بتنوعه العرقي، حيث كان يتكون من عدة أجناس وأعراق تعيش معًا في إطار من الوحدة الإسلامية. وكان الأتراك الأويغور يشكلون قاعدة كبيرة في المجتمع القَرَخاني ، عاش فيه الوزير، إلى جانب العرب والفرس وغيرها من الأقوام والملل. هذا التنوع العرقي لم يمنع من وجود نوع من التكامل بين هذه الأعراق تحت لواء الخلافة الإسلامية أولاً، وتحت حكم القَرَخانيون ثانيا.

السادس: العمران والتطور الحضاري

شهد عصر الوزير يوسف تطورًا عمرانيًا هائلًا. فتم بناء العديد من المساجد

والمدارس والحمامات والرباطات التي لا تزال آثارها قائمة حتى اليوم. وقد زيَّنت المدن الإسلامية في ذلك الوقت بالمنارات والأبراج، التي كانت تجسد القوة الحضارية والتقدم العلمي.

فإن المدارس كانت تعد من أبرز مظاهر العمران في ذلك العصر. في كاشغر وختن وبخارى وسمرقند، ومرو، على وجه الخصوص، أسس سلاطين القَرَخانيون العديد من المدارس الحكومية في أنحاء بلدانه. وكانت الدولة تتكفل على نفقات هذه المدارس[١].

السابع: الثقافة والفنون:

كان عصر الوزير يوسف عصرًا مزدهرًا في مجال الثقافة والفنون، حيث تطورت الفنون المعمارية والفكرية والفلسفية. في الشرق الإسلامي، كان هناك تركيز على تطوير علوم الفقه والعقيدة والفلسفة، وكان للأدب والشعر حضور مهم أيضًا.

قد اشتهرت مدينة كاشغر في العلوم والفنون ونشر الثقافة الإسلامية في أنحاء تركستان، كما صارت قبلة للعلم يتوجه عشاق العلم من كل العالم، فقد ضمت مدرستها سبعة عشر معهدًا علمياً لمختلف فروع العلوم الإسلامية، وزخرت بمكتبة كبيرة تسمى «مكتبة المسعودي»، كانت وحدها تضم أزيد من مئتين ألف كتاب، لذلك تبوأت عاصمة القَرَخانيون كاشغر مكانة علمية مرموقة لا تقل عن مثيلاتها في مختلف الحواضر الإسلامية[٢].

[١] اقطاي آصلان آبا، فنون الترك وعمائرهم، المرجع السابق، ص: ١٤. النرشخي، ص: ٨١. ماجد مخلوف، تركستان الشرقية في نسيج الحضارة الإسلامية، المرجع السابق، ص: ٣.

[٢] ماجد مخلوف، تركستان الشرقية في نسيج الحضارة الإسلامية، المرجع السابق، ص: ٣. إسهامات الأويغور الأتراك في الحضارة الإسلامية، ص: ٢٣٣.

٤,٢. الحياة العلمية في بلاد التركستان في عهد الإمارات القَرَخانية:

كانت الإمارات القَرَخانية شاهدة على تطور ملحوظ في الحياة العلمية والثقافية والعمرانية، ويعود ذلك بشكل أساسي إلى اهتمام أمرائها بالعلم والعلماء، وإلى ما امتلكوه من حس علمي وثقافة رفيعة. هذه الثقافة لم تكن مجرد مظاهر شكلية، بل جاءت نتيجة تعمقهم في الدين الإسلامي وفهمهم لأحكامه ومبادئه العظيمة، مما جعلهم يرون في العلم وسيلةً لرفعة الأمة وقوتها.

عزَّز الأمراء القَرَخانيون من مكانة العلم بتقديم دعم غير محدود للعلماء، مما جعل أراضيهم مركزًا هامًّا للتعلم وجذب العديد من العلماء والمفكرين. ولعل من أبرز الأدلة التي تدل على هذا التطور، الرسالة التي أرسلها السلطان محمود الغزنوي[١] إلى الأمير القَرَخاني ناصر الحق، والتي حملها رسول السلطان شخصيًا. تضمن نص الرسالة، على ما ظهر تقديرًا للدور العلمي والثقافي الذي لعبته القَرَخانية، وإشارة إلى المكانة العلمية المرموقة التي حظيت بها هذه الإمارة في ذلك العصر، فنص الرسالة هي كما تأتي:

(قال الله تعالى: يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثى وَجَعَلْناكُمْ شُعُوبًا وَقَبائِلَ لِتَعارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقاكُمْ إِنَّ الله عَلِيمٌ خَبِيْرٌ)[2] و قد اتفق أرباب الحقائق و أصحاب الدقائق على أن المراد التقوى من الجهل ، فليس نقصان لأرواح الناس أسوأ من نقصان الجهل ، و أدنا من قلة العلم ، و الكلام القديم يشهد بصحة هذه القضية و صدق هذا الخبر (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)[3]فنحن نريد من أئمة ما

[١] هو يمين الدولة أبو القاسم محمود بن سُبُكْتِكِيْن الغزنوي (٩٧١م - ١٠٣٠م) المعروف باسم محمود الغزنوي هو حاكم الدولة الغزنوية في المدة من عام ٩٩٨م إلى ١٠٣٠م في زمن الخلافة العباسية. الصلابي، دولة السلاجقة، ١/ ٢٥- ٢٩.

[٢] الحجرات، الآية ١٣.

[٣] المجادلة، الآية ١١.

وراء النهر و علماء الشرق و أفاضل الحضرة الخاقانية أن يبينوا لنا ضروريات هذه المسائل: ما النبوة، و ما الولاية، و ما الدين، و ما الإسلام و ما الإحسان، و ما التقوى و كالأمر بالمعروف و ما النهي عن المنكر و ما الصراط و ما الميزان و ما الرحمة و ما الشفقة و ما العدل و ما الفضل ؟؟[١]

إن هذا التواصل بين محمود الغزنوي وناصر الحق يعكس المستوى الرفيع الذي وصلت إليه القَرَخانية، وكيف ساهم حكامها في بناء بيئة تحتفي بالعلم وتنشر الثقافة الإسلامية بشكل واسع، وكان لهذا الدعم أثره الكبير في استمرار النهضة العلمية وتطوير الفنون والعلوم المختلفة التي شكلت هوية مميزة للدولة القَرَخانية.

من أبرز الشواهد على اهتمام الأمراء القَرَخانيون بالعلم وطلبه، أن الأمير محمد مجد الدين الختني قد آثر ترك إماراته لأخيه الأصغر ليتفرغ للعلم. انطلق الأمير في رحلته العلمية بين أبرز مراكز العلم في عصره، فزار سمرقند وبخارى وبلاد الشام، يتلقى من كبار العلماء دروسهم في العلوم الشرعية والأدبية.

وقد نال الأمير محمد تقديرًا كبيرًا من السلطان نور الدين زنكي، الذي ولاه إدارة «المدرسة الصادرية» في الشام، تقديرًا لعلمه وثقافته. وعند رحيله إلى مصر، تولى إدارة «المدرسة الصوفية»، وكان أول من درّس فيها، مما يعكس مكانته العلمية الرفيعة. وواصل رحلته إلى الأندلس برفقة أبي القاسم الشاطبي، واطلع هناك على العلوم والفنون السائدة، وعاد مرة أخرى إلى مصر، حيث أقام فيها حتى وفاته ودفن في جبل المقطم سنة ٥٧٦ هـ[٢].

ويذكر المؤرخ ابن الفوطي في كتابه «مجمع الآداب في معجم الألقاب» أن

---

[١] النظامي العروضي السمرقندي، بلا ت. چهار مقاله– المقالات الأربعة. إيران. (باللغة الفارسية)، ص٣٢.

[٢] عبد القادر، الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، ص٣٧٣. الداقوقي، ص:١٣. سعاد حسن، الأويغور، ص: ٤٤٦.

مشيد الدولة ومؤيد الملة بغراخان بن قلدة قراخان أبو المظفر محمد بن يوسف، ولي أمير المؤمنين ملك المشرق، كان مهتم بسماع الأحاديث النبوية، فاجتهد في سماعها حتى أجازه الفقيه أبو بكر محمد بن زيد بن محمد الأوشي، وكتب له الحافظ عبد الرحيم بن أحمد مسألة في تنويع السماع وتجنيس الإجازة[١].

ولقد تميز عهد القَرَخانيون بظهور عدد كبير من العلماء والأدباء في مختلف فروع العلوم والآداب، وهو ما يعكس مدى اهتمام هذه الإمارة بالثقافة والمعرفة، واحتضانها للعلماء والباحثين من كافة المجالات. وفيما يلي نستعرض بعضًا من أبرز العلماء والعلوم التي ازدهرت في عهد القَرَخانيون:

علوم اللغة العربية والنحو:

أسهم العلماء القَرَخانيون في تطور علوم اللغة العربية، إذ نبغوا في علوم النحو واللغة، وقدموا إسهامات بارزة في دراسة اللغة العربية وتطويرها. من بين هؤلاء العلماء:

- الإمام القفال الشاشي الكبير: يُعتبر من أبرز علماء اللغة والنحو في عصره، وقدم مساهمات كبيرة في علوم الشريعة أيضًا.
- الإمام اللغوي الجوهري الفارابي: صاحب الكتاب الشهير «الصحاح في اللغة»، والذي يعدُّ من أمهات المعاجم العربية[2].
- الإمام اللغوي الأخسيكثي ذو الفضائل: من أبرز كتبه «تاريخ فرغانة» أو «تاريخ أبي رشاد»، وكتاب «الزوائد» الذي شرح فيه ديوان أبي العلاء المعري وأضاف إليه[3].
- العلامة ابن صاين الفرغاني النحوي: عالم نحوي بارز له

[١] ابن الفوطي الشيباني، مجمع الآداب في معجم الألقاب، تحقيق: محمد كاظم، (إيران: وزارة الثقافة، ١٤١٦م)، ص:٢٣٦.
[٢] الحموي، ١٥٢/٦. ابن الوردي، ٢٣٠/١.
[٣] البغدادي، ٨٣/١.

إسـهامات معتبـرة فـي هـذا المجـال[1].

- محمـود بـن حسـين الكاشـغري: اشـتهر بمؤلفـه الفريـد «ديـوان لغـات التـرك»، والـذي يمثـل توثيقًـا لثقافـة الأتـراك ولغتهـم، كمـا يعتبـر أول كتـاب ألـف فـي علـم مقارنـة اللغـة.
- عبـد الفاضـل محمـد بـن عمـر الكاشـغري، إنـه ألـف كتـاب «القامـوس المصنـف»، فـي عـام 2821م فـي مدينـة كاشـغر[2].

الشعر والأدب:

شـهد الأدب والشعر في عهـد القَرَخانيـون ازدهـارًا ملحوظًـا، حيث قـدَّم عـدد مـن العلمـاء والأدبـاء أعمالًا أدبيةً وشـعريةً تتنـاول قضايا عصرهـم وتعبّر عن غزارة معرفتهـم وثقافتهـم. من هـؤلاء الأدباء:

- العلامـة الشاشـي الخرقانـي: لـه أثـر كبيـر فـي مجـال الأدب، ومـن تلاميـذه عبـد الكريـم السـمعاني.
- العلامــة أثيـر الديـن الأخسـيكثي: كان لـه دور بـارز فـي تطويـر الأدب، ولـه مؤلفـات تجمـع بيـن العلـم والأدب[3].
- العلامــة ابـن مسـعود الخجندي المعـروف بالبارسـي: مـن أبـرز مؤلفاتـه شـروحه لأعمـال الـرازّي، حيـث قـدّم إضافـات مهمـة لـلأدب والفكـر[4].
- العلامـة ابـن محمـد الشاشـي: تـرك بصمتـه في الأدب بتأليفـات وشـروح شـعرية وأدبيـة.
- العلامـة ابـن فرعـون الشاشـي: أسـهم فـي الأدب بكتاباتـه، ويعـدُّ

[١] السيوطي، طبقات الحفاظ، ١/٣٧٤.

[٢] أحمد جلايلي، إسهامات الأويغور الأتراك، ص:٣٠٩.

[٣] ذبيح الله، تاريخ أدبيات در ايران، ٢/ ١١٥٠.

[٤] السمعاني، كتاب المعجم، م ٢/٣٢٨.

أحـد العلمـاء المؤثريـن فـي مجالـه[1].

- العلامـة نجيبـي الفرغانـي: مـن أبـرز أدبـاء عصـره، ولـه إسـهامات فـي الشـعر والنثـر[2].
- الحاجـب يوسـف البالاسـاغوني: مؤلـف كتـاب «قوتادغـو بيلـك»، والـذي يعتبـر مـن الأعمـال الأدبيـة والفلسـفية الهامـة.
- محمـود الكاشـغري: إضافـة إلـى إسـهامه فـي اللغـة، كان لـه دور أيضًـا فـي الأدب التركـي القديـم.

يجسـد هـؤلاء العلمـاء نمـاذج مشـرقة للعلمـاء القَرَخانيـون الذيـن تميـزوا بثقافتهـم الواسـعة وإسـهاماتهم البـارزة فـي مختلـف العلـوم، ويمثلـون حقبـة علمية وفكريـة تركـت أثـرًا عميقًـا علـى الحضـارة الإسلامية، كمـا تُظهـر مـدى ازدهـار الحيـاة العلميـة والثقافيـة فـي عهـد القَرَخانيـون.

علم القراءات:

شـهد علـم القـراءات ازدهـارًا كبيـرًا فـي هـذه الفتـرة، وظهـر عـدد مـن العلمـاء البارزيـن فـي هـذا المجـال، مـن بينهـم:

- المقـرئ المحقـق ابـن عثمـان الطـرازي: عُـرف بإتقانـه للقـراءات وتفسـير النصـوص[3].
- المقـرئ أبـو الطيـب الخوقنـدي المخزومـي: كان لـه دور بـارز فـي تعليـم القـراءات[4].
- المقـرئ والفقيـه الكاسـاني: جمـع بيـن علـوم القـراءات والفقـه،

[١] ابن النديم، ٤الفهرست، /١٨٧.
[٢] النظامي، چهار مقاله، ص٥٦.
[٣] ابن الجزري، غاية النهاية، ٢/٢٣٧.
[٤] السمعاني، كتاب المعجم، ٢/٤١٢. الحموي، معجم البلدان، ٢/٣٩٩.

وكان عالمًـا متبحـرًا[1].

- أبـو حفـص الأندكانـي الفرغانـي: مـن العلمـاء المميزيـن فـي علـم القـراءات[2].

علم التفسير:

بـرز علـم التفسـير بـكل أنواعـه فـي تلـك الفتـرة بفضـل مجموعـة مـن العلمـاء الذيـن قدَّمـوا إسـهامات هامَّـة فـي فهـم وتفسـير القـرآن الكريـم، منهـم:

- الإمـام القفـال الشاشـي الكبيـر: عالـم لغـوي، نحـوي، فقيـه، وأصولـي، ولـه إسـهامات بـارزة فـي التفسـير[3].
- العلامـة أبـو زيـاد الشاشـي (ابـن الشـيخ الهمذانـي): مـن المفسـرين الذيـن تركـوا بصمـات واضحـة فـي علـم التفسـير وشـرح الآيـات[4].

علم الحديث النبوي الشريف:

بـرز علمـاء الحديـث بشـكل لافـت فـي عهـد القَرَخانيـون، وأسـهموا فـي نقـل وتعليـم الأحاديـث النبويـة الشـريفة، منهـم:

- أبو سعيد بن ميكائيل البدخكشي: عالم بارز في مجال الحديث[5].
- أبو سعيد الخرشكتي: من العلماء الذين برزوا في علم الحديث.
- أبـو القاسـم المظفـر بـن حاجـب بـن أركيـن الفرغانـي: مـن رواد علـم الحديـث فـي عصـره.
- أبو منصور الخجندي: من العلماء المبرزين في الحديث.

---

[١] القرشي، بلا ت. ٢/١٤٥.

[٢] السمعاني، كتاب المعجم، ٢/٤١٢.

[٣] السيوطي، طبقات الحفاظ، ص٩٤.

[٤] ابن ماكولا، الإكمال، ٥/٩٧.

[٥] الحموي، معجم البلدان، ١/٣٥٨.

علم الفقه:

حظي علم الفقه باهتمام واسع في هذه الحقبة، وظهر عدد من الفقهاء والأصوليين، من بينهم:

- الإمام القفال الشاشي: فقيه بارز في المذهب الشافعي، أسهم إسهامًا كبيرًا في الفقه الشافعي.
- الفقيه محمد بن سفيان الأسبانيكثي: من الفقهاء البارزين الذين ساهموا في نشر الفقه في عصره[1].
- أبو الربيع الإيلاقي الشاشي: فقيه وأصولي، أسهم في تعليم الفقه وتأصيله[2].
- أبو جعفر الأشروسني: من شيوخ أبي زيد الدبوسي، وأحد الأعلام في علم الأصول.
- الفقيه أبو المظفر الخجندي: من فقهاء عصره الذين اهتموا بتدريس الفقه.
- الفقيه ظهير الدين المرغيناني: له إسهامات واسعة في الفقه الحنفي[3].
- فخر الإسلام الشاشي المستظهري: أحد فقهاء الفقه الشافعي، وله مكانة علمية مرموقة[4].
- شيخ الإسلام علاء الدين الأسبيجابي: من العلماء الذين تميزوا في تدريس الفقه وأصوله[5].
- الفقيه سديد الدين أبو الرضا الطرازي: كان له دور مهم في نشر العلوم الفقهية.

---

[١] السمعاني، كتاب المعجم، ١/١٢٨.

[٢] السمعاني، كتاب المعجم، ١/٢٣٨.

[٣] الزركلي، الأعلام، ٥/ ٣٢٠.

[٤] خير الدين الزركلي، الأعلام، ٥/٣١٦.

[٥] الجواهر المضية في طبقات الحنفية، ١/ ٣٧١.

علم التاريخ:

برع العديد من العلماء في علم التاريخ، منهم:

- أبو محمد الفرغاني: من أبرز المؤرخين في تلك الفترة.
- أبو منصور الفرغاني: له إسهامات مهمة في التدوين التاريخي[1].
- محمود بن حسين الكاشغري: صاحب «ديوان لغات الترك»، والذي يحتوي أيضًا على معلومات تاريخية وثقافية قيّمة.

علم الطب:

شهد علم الطب اهتمامًا خاصًا، وكان هناك عدد من الأطباء المميزين، مثل:

- الطبيب شرف الدين الإيلاقي: أحد أشهر الأطباء في ذلك العصر[2].
- أبو نصر فخر الدين الخجندي: له إسهامات واضحة في علم الطب.
- نجيب الدين السمرقندي: من الأطباء البارزين الذين ساهموا في تطوير الطب في تلك الحقبة[3].

علم الهندسة:

برز في علم الهندسة والفلك:

- شمس الدين السمرقندي: عالم فلك وهندسة معروف[4].

---

[١] الصفدي، الوافي بالوفيات، ٥٦/٧.

[٢] هاجی نۆرهاجی، ٢٠٠٩. قەدىمكى ئۇيغۇرلار ۋە قاراخانىلار ، ٢٠٠٩. ٣٩٧.

[٣] ادوارد كرنيليوس فانديك، اكتفاء القنوع بما هو مطبوع، أشهر التآليف العربية في المطابع الشرقية والغربية، ص٢٢٣.

[4] Fazlıoğlu، İhsan (2007). "Samarqandī: Shams al-Dīn Muḥammad ibn Ashraf al-Ḥusaynī al-Samarqandī». فـي Thomas Hockey ؛ The Biographical Encyclopedia of Astronomers. New York: Springer. 1008.

- القاضي الفيلسوف عبد الرزاق التركي: عُرف بإسهاماته في الهندسة والفلسفة.

علم الرياضيات والفلك:

ساهم علماء الرياضيات والفلك في تطوير هذا العلم وأثروا فيه، من بينهم:

- أبو محمود الخجندي: تميز في الرياضيات والفلك وقدم إسهامات كبيرة في رصد النجوم وحساب الدوائر والبروج[1].

علم الفلسفة والسياسة:

أسهم علماء الفلسفة والسياسة في تطوير الفكر والآداب السياسية، من بينهم:

- يوسف خاص حاجب: مؤلف «قوتادغو بيليك» الذي يعد مرجعًا أخلاقيًا وسياسيًا في الثقافة التركية.
- أبو بكر النوجاباذي البخاري: من المفكرين البارزين في الفلسفة[2].
- بهاء الدين السمرقندي: كاتب «أعراض الرياسة في أغراض السياسة»، وكان كاتب الإنشاء للأمير قلج طمغاج خان[3].

كان هذا الثراء العلمي نتيجة تشجيع الأمراء للعلماء ورعايتهم، مما جعل الدولة القَرَخانية مركزًا حضاريًا في العالم الإسلامي.

علم الاجتماع:

في عصر الإمارة القَرَخانية، طلع الشمسان في السماء من العلماء الذين أسهموا بشكلٍ بارز في تطور العلوم الاجتماعية والسياسية واللغوية: فهما الحاجب يوسف ومحمود بن حسين الكاشغري. إليك لمحة مختصرة عن كل منهما:

---

[1] https://mathshistory.st-andrews.ac.uk/Biographies/Al-Khujandi/

[٢] السمعاني، المنتخب، ص ٥٥٥.

[٣] الزركلي، الأعلام ٤/ ٣٢٩.

◄ أولاً: يوسف خاص حاجب

هو العالم السياسي والفيلسوف الاجتماعي الحاجب يوسف البالاساغوني الكاشغري، الذي عمل وزيراً وحاجباً خاصاً للأمير القَرَخاني هارون بغراخان. كتب كتابه الشهير «قوتادغو بيليك»، والذي أهداه للأمير القَرَخاني هارون بغراخان بن قدرخان يوسف. ويعد هذا الكتاب من أقدم الكتب المكتوبة باللغة التركية تحت ظل الإسلام، حيث يمثل روح الثقافة التركية الممزوجة بالفكر الإسلامي، ويعالج مواضيع متعددة تشمل الزهد، التصوف، الأخلاق، التزكية، السياسة الشرعية، الإدارة الحكومية، أساليب الحرب، والتخطيط العمراني.

يَعُدَّ كتاب «قوتادغو بيليك» من أولى الكتب التي تناولت موضوعات اجتماعية وسياسية، وقدّم تحليلاً اجتماعيًا حول العلاقات الإنسانية ومفاهيم الحكم، وبذلك يُعدّ الحاجب يوسف سباقًا في طرح الأفكار الاجتماعية قبل ابن خلدون بفترة طويلة. ونحن سنتحدث في هذا الموضع بشكل واسع إن شاء لله.

◄ثانياً: محمود بن حسين بن محمد الكاشغري

محمود بن حسين الكاشغري، من علماء الكاشغر، قام بجمع وحصر لهجات القبائل التركية في موسوعته الشهيرة «ديوان لغات الترك» وقد كتب هذا الكتاب باللغة العربية، ليكون أداة للتواصل بين العرب والأتراك، واحتوى على مجموعة ضخمة من المعارف والعلوم، مثل النحو، اللغة، الأدب، التاريخ، والجغرافيا.

والكتاب عبارة عن قاموس يعطي لسبعة آلاف وخمسمائة كلمة تركية مقابلها العربي، ونظمت الجمل من أجل أنّ تفهم معانيها جيدا، فأصبح قاموس يرقى إلى درجة دائرة معارف ثمينة، حفظت تراث اللغة التركية والثقافة الأتراك القديم[١].

[١] أركين آلبتكين، ص: ٥٢.

لم يكن «ديوان لغات الترك» معجمًا لغويًا فحسب، بل وثيقة اجتماعية وتاريخية شاملة تناولت مختلف جوانب الحياة التركية القديمة، مثل الأدب والشعر، الصيد والزراعة، الطب الشعبي، التاريخ، الوظائف الحكومية، خطط الحروب، الفلكيات، والكيمياء، مما يجعله مرجعًا هامًا للدراسات التاريخية والاجتماعية لشعوب آسيا الوسطى.

كما قدّم الكاشغري أول خريطة للعالم رسمت بدقة لتلك الحقبة، وأهدى «ديوان لغات الترك» إلى الخليفة العباسي، مما يعكس تقديره لمكانة الخلافة ويبرز أهمية هذا العمل العلمي الذي جمع التراث التركي ضمن نسيج العالم الإسلامي.

ولأهمية هذا الكتاب اعتمد العرب والأتراك فترات طويلة عليه، سواء من أجل تعلُم اللغة التركية وقواعدها، أو من كونه مصدرا مهما لتراث الثقافي الإسلامي[١].

وبهذا يمكن أن يقال: لقد أمدنا الكاشغري بمعلومات دقيقة عن التاريخ التركي وأساطيره، وعن الجغرافيا والأدب الشعبي، فأرسى بذلك للأسس الأولى لعلم التركيات، كما أوضح القواعد الهامة للغة التركية في كتابه، وزودنا بالتغيرات الصوتية التي لحقت بها، وأمدنا بحالات الاسم والنماذج الغنية، خاصة فيما يخص بناء الفعل[٢].

وفي الختام، نستطيع القول إن تجمع عدد كبير من العلماء الكبار في مدينة ختن، إحدى مدن تركستان الشرقية حتى خلال فترة ضعف الإمارة القَرَخانية أو بعد سقوطها بيد القاراختايين، يعدّ دليلاً واضحًا على مدى ازدهار الحياة العلمية والثقافية في تركستان. فقد ظلت هذه الأرض محافظة على تألقها العلمي، وعلى احتضانها للعلماء والمفكرين، مما يؤكد أن الحركة العلمية في

[١] أحمد جلايلي، إسهامات الأويغور الأتراك، ص: ٣٠٦.

[٢] أحمد جلايلي، إسهامات الأويغور الأتراك، ص: ٣٠٤.

تركستان لم تكن مجرد ظاهرة وقتية أو مقتصرة على فترة قوة الدولة، بل كانت عمقًا حضاريًا مستمرًا يتجاوز التغيرات السياسية التي عصفت بالمنطقة.

يذكر المؤرخ والرحَّالة عطا مالك الجويني في كتابه «تاريخ العالم» حادثة مؤلمة من تاريخ تركستان الشرقية، حيث يروي قصة استشهاد أكثر من ثلاثة آلاف من علماء المسلمين في يوم واحد بأمر من كوجلوك، كما يأتي:

حينما تم لكوجلك الاستيلاء على كاشغر وختن وترك الشريعة العيسوية واعتنق المذهب الوثني، أمر أهالي تلك الأنحاء بترك الدين الحنيف والتحول إلى مذهب الوثنية والإلحاد والانفصام عن أشعة أنوار الهدى والدخول إلى وحشة الكفر والضلال.

ونادوا في المدينة وبلغوا أوامره التي تدعو إلى أن يحشر في الصحراء كل شخص من أهل العلم والصلاح، فاجتمع إليه ما يزيد عن ثلاثة آلاف من الأئمة الكبار فتوجَّه إليهم قائلاً: أي شخص في هذه الصفوف يستطيع أن يناظرني في أمور الدين والملك ولا يبالي بما أقول ولا يخاف عقابا أو غضبا؟ وكان قد استحكم في خياله الفاسد أنه لا يمكن أن يكون لأحد القدرة على معارضته ومناظرته وإنكار حجته، وكلما هم شخص لمناقشته في أي أمر خاف سطوته وعقابه ودفع عن نفسه نار البلاء والفناء حتى لا يكون كالباحث عن حتفه بظلفه، بل كان يصدق أكاذيبه ويقر بأباطيله ونهض من بين تلك الطائفة الشيخ الموفق والإمام بحق علاء الدين محمد الختني نور الله قبره وكثر أجره، وأقبل إلى كوچلك وجلس مستعدا للنقاش كما لو كان قد تمنطق بحزام الحق، وأخذ يباحثه ويجادله في أمور الأديان، فلما ارتفعت الأصوات وأفحمه الإمام الشهيد بالحجج القاطعة والدلائل الساطعة، وأدرك أن حضور كوچلك ووجوده عدم محض وانتصر الحق على الباطل والعالم على الجاهل، وأفحم الإمام السعيد كوچلك ودحض حجته، والحق أبلج والباطل لجلج استولت الدهشة والحيرة والخجل على أفعال وأقوال

ذلك الفاسد وارتفعت نار الغضب عليه لضعفه وخوره وخرس لسانه وقيدت أقواله وغللت وانطلق لسانه بالفحش والهذيان الذى لا يليق بقانون كتاب الرسول الكريم، واستمر على هذا النحو مدة ولكن الإمام الصادق الذي لا يقول إلا الحق والذي يؤمن إيمانا راسخا لا يتزعزع بالقول القائل لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا لم يستطع انطلاقا من حميته الدينية أن يتغاضى أو يغض الطرف عن ترهاته وخرافاته، فقال له: «ملأ التراب فاك يا عدو الدين يا كوجلك اللعين»، فلما صكت هذه الكلمات القاسية والصادقة سمع ذلك الوثني الذي امتلأ غرورا وكبرا والكافر الفاجر والنحس النجس أمر بالقبض عليه وأمره بالارتداد عن الإسلام واتباع مذهب الكفر والإلحاد، ولكن هيهات هيهات لما توعدون فلا يكون مهبط النور الإلهي بيتا للشيطان اللعين، فأبى واستعصم عدة أيام بلياليها عاريا مقيدا جائعا ظمئا ومنعوا عنه الغذاء والطعام الدنيوي، إلا أنه كان ضيفا لمائدة «أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني»....

وبعد أن سلكوا معه كل حيلة تحويها جبلة هؤلاء القوم الضالين... أثبتوه بأربعة من الدسر على باب مدرسته التي كان قد شيدها في ختن، بينما هو يرفع صوته مجلجلا بكلمة التوحيد والشهادة، ناصحا الخلائق قائلا: لا يمكن لإنسان أن يفرط في أمور الدين نتيجة لما يلقاه من عقوبات وآلام في هذه الدنيا الفانية، ولا يمكن أن يسلم الإنسان نفسه لنار جهنم إلى أبد الأبدين نتيجة لذلك أيضا، بل يكون عيبا تاما وعيبا كبيرا أن يستبدل الإنسان بالدار الباقية تلك الدار الفانية وأن يستبدل بنعيم الدار الآخرة ودلالها خضراء الدمن هذه، تلك الدار الفانية التي ما هي إلا لعب ولهو للصغار، قال الله تعالى: «وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو، وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون، وظل يردد ذلك حتى أسلم الروح لبارئها وانتقل من سجن الدنيا إلى جنات نعيم العقبى وطار من المهبط السفلى إلى الكرسي العلوي[١].

[١] علاء الدين عطاء مالك، الجويني، فاتح العالم، ترجمة السباعي محمد السباعي، (القاهرة: مركز القومي

٥,٢. مصادر علم يوسف خاص حاجب:

من المعلوم، يتأثر الإنسان بعمق بالبيئة المحيطة به ؛ فالمكان الذي ينشأ فيه والأشخاص الذين يحتك بهم، جميعها عوامل تؤثر على عقليته وأفكاره وتوجهاته. البيئة هي التي تُغذّي جوانب فكرية واجتماعية وثقافية مختلفة، وتساهم في تطوير رؤى الإنسان وطريقة نظره للعالم.

وكما يتأثر المرء بمحيطه، فإنه أيضًا يتأثر بأفكار من حوله وتجاربهم. فكلما تعرض لأشخاص متنوعين في ثقافتهم أو تعليمهم أو تجاربهم، زاد انفتاحه الفكري وتعمّقت رؤاه. وكما يظهر في مقولة «المرء على دين خليله»، تتضح أهمية المحيط في تشكيل الهوية الذاتية للأفراد، سواء بالإلهام الفكري، أو التأثير الروحي، أو حتى التأثير السلوكي.

قال محمد بن أبي العتاهية: أنشدت أبي أبا العتاهية شعرًا من شعري، فقال لي: اخرج إلى الشام. فقلت لم؟ قال لأنك لست من شعراء العراق أنت ثقيل الظل، مظلم الهواء، جامد النسيم.

فقد عاش الحاجب يوسف في بيئة علمية واجتماعية قوية، فهو كان محاطًا ببيئة ازدهرت بالعلماء والأدباء، إضافةً إلى الثقافة الإسلامية والتركية التي مزجت بين علوم الشريعة والفكر الدنيوي، وقد استلهم منها أسلوبًا فريدًا يجمع بين الزهد والحكمة والسياسة. وكذلك تأثر بظروف عصره السياسية، إذ عاش في مجتمع يشهد توسعًا سياسيًا للإمارة القَرَخانية مع انفتاحها على الثقافة الإسلامية، مما أسهم في صياغة رؤاه الاجتماعية والسياسية كما تجلت في كتابه «قوتادغو بيليك».

للترجمة)، ١/١٠٠.

الفصل الثالث

تعريف قوتادغو بيليك

3،1. اسم الكتاب

3،2. مفهوم اسم الكتاب

3،3. مدة التأليف

3،4. وصف الكتاب

3،5. تقسيمات الكتاب

3،6. اللغة المستخدمة

3،7. الوزن والقافية في الكتاب

3،8. ولادة الكتاب

3،9. الأبطال في قوتادغو بيلك

3،10. العلاقات بين الشخصيات

3،11. محتويات قوتادغو بيلك

3،12. سبب تأليف الكتاب

3،13. مكانة الكتاب

3،14. لمن قوتادغو بيلك

3،15. نسخ كتاب «قوتادغو بيليك

3،16. نماذج من نسخ الكتاب

الفصل الثالث: تعريف قوتادغو بيليك

٣,١. اسم الكتاب:

إن الحاجب يوسف سمى كتابه «قوتادغو بيلك»، وقد ذكر اسم الكتاب في نص الكتاب، كما أوضح سبب تسميته بهذا الاسم ؛ فيقول:

٣٥٠- «قوتادغو بيلك» سميت ذا كتابي
مبارك لطالب أرفقه دعائي

٣٥١- قلت ذا مقالتي كتبتها
دنيوي وأخروي أكسبها

٣٥٢- ومن يرم معاشه معاده
يغشاه عز سعادة زمانه

٣,٢. مفهوم اسم الكتاب:

إن كلمة «قوت» في اللغة الأويغورية تعني «بخت» أو «السعادة» و»المبارك»، بينما «اتقو» تعني «الجالب» أو «الحاصل»، و»بيليك» تعني «العلم». بالتالي، يمكن ترجمة عنوان الكتاب «قوتادغو بيلك» إلى «العلم الجالب للسعادة».

وعلى الرغم من هذا التفسير الذي قدمه أحمد ضيائي، اختلف الباحثون في تقدير المعنى الدقيق للاسم. فقد اعتبر بارتولد أنه يعني «علم الملوك»، بينما

فسَّر العالم التركي كافسو أوغلي الاسم على أنه «علم السلطة»[١]. في المقابل، رأى الباحث صدري مقصودي أن الترجمة هي «كتاب القانون»، بينما قال رشيد رحمتي إن معناه «علم السعادة»[٢].

وأما صاحب الكتاب وضحَّ نفسه مفهوم معنى الكتاب ونقلها حسن مجيب المصري وقال: إن هذا الكتاب أعجوبة الأعاجيب، فقد أزدان بأقوال حكماء الصين وعلمائها، وطوبى لكل من تفهم شعره وتدبر معانيه ؛ لأنه بذلك لا شك مرتفع درجات، لقد أجمع أهل الذكر في الصين والتركستان وكل بلاد المشرق على أن هذا الكتاب وحيد نسجه وفريد في بابه، وأن أقلام بلغاء الترك لتكبو دونه ويعز عليها أن تأتي بشيء مثله، وقد سماه أهل الصين «أدب الملوك»، وعرف عند أعيان البيان في المشرق بـ»زينة الأمراء»، أما الفرس فقالوا إنه «شاهنامة تركية»، وقال غيرهم إنه «نصائح الملوك»[٣].

من بين هذه التفسيرات المتنوعة، يبدو أن الترجمة الأقرب لاسم «قوتادغو بيلك» هي «علم السعادة».

٣,٣. مدة التأليف:

أفنى العالم الحاجب يوسف سنة ونصف من عمره لإبراز هذا الكتاب القيم كما أشار إليه في خاتمة الكتاب، وهي:

٦٦١٤– العلم كلا حصنه أنت لجام
أنت في القمة سراج وسط (جام)

[1] İbrahim Kafesoğlu, “Kutadgu Bilig ve Kültür Tarihimizdeki Yeri”, Türkler, c. 5. Ankara 2002, Yeni Türkiye yayınları, ss. 163-178.

[٢] قوتادغو بيليك خزينسي، ٣٢. أحمد ضيائي، قوتادغو بيليك هققيده بيان،

[٣] حسين مجيب المصري، تاريخ الأدب التركي، ص: ١٣.

٦٦١٥- أنت في القمة كصدر في المقام
هم جمال مسرح أنت في السنام

٦٦١٦- ها أنا مددت يدي طلبا للعلم
نظمت كل مقالي وقلت انتظم

٦٦١٧- لسان الترك وحشية مثل الغزال
صدته روَّضته وقلت فيه المقال

٦٦١٨- ألمس الظهر دلالا مسة
قبل ترويضي سينفر فجأة

٦٦١٩- قد نظمت القول نظما مسردا
شمة الريح عبق عبير مسطرا

٦٦٢٠- قلت للنظم استقم استطرد
المسافة باعدت قد تسبق

٦٦٢١- فكرت في القارئ لئلا يصعب
فسرته بعض الكلم لا يعتب

٦٦٢٢- غي المعدل بين بينه عُدِّلت
ليستقيم السرد نظما يسرت

٦٦٢٣- كانت الهجرة اثنان ستون بعد الأربعة
كتبت هذه الموسوعة لصالح مجتمع

٦٦٢٤- استغرق العوض به بثمان عشرة
شهر الهلال ذي مدة ميسرة

٦٦٢٥- كشجرة الورد بها عبير وعبق
من زهرة فواحة عند الشفق

٣,٤. وصف الكتاب:

كتب الحاجب يوسف كتابه «قوتادغو بيلك» بأسلوب شعري يُعرف بـ «المثنوي» أو «المزدوج»، وهو نوع من الشعر تتساوى فيه قوافي كل بيت، على عكس الشعر التقليدي الذي تتساوى فيه قوافي القصيدة بأكملها.

أصبح الشعر المثنوي مشهوراً في اللغة العربية خلال العصر العباسي، ويُعتقد أن أول من نظمه هما بشار بن برد[١] وأبو العتاهية[٢]، ثم تبعهم آخرون ممن وجدوا في هذا الأسلوب سهولة في سرد القصص الطويلة ونقل العلوم. لاحقًا، انتشر «المثنوي» بين الفرس فأول شعر مثنوي بالفارسية كُتب في عصر الدولة السامانية في كتب مثل «كليلة ودمنة» و«آفرين نامه» لأبي شكور[٣]. ثم استخدمه أبو القاسم الفردوسي[٤] في كتابه الشهير «شاهنامه»، كما استخدمه مولانا جلال الرومي وسما كتابه بـ «المثنوي».

تبنى الحاجب يوسف هذا الشكل الشعري في كتابه «قوتادغو بيلك»، وساهم في انتشاره بين الأتراك. لذلك، يعتبر العلماء والأكاديميون أن الحاجب يوسف

[١] هو أَبُو مُعَاذْ بَشَّارْ بْنْ بُرْدْ بْنْ يَرْجُوخْ اَلْعَقِيلِي البصري (٩٦ هـ – ١٦٨ هـ)، إمام الشعراء اتجاهات الشعر في العصر العباسي الاتجاه الجديد. ومن المخضرمين حيث عاصر نهاية الدولة الأموية وبداية الدولة العباسية. الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ص. ٣٥٥.

[٢] هو إسماعيل بن القاسم بن سُويد العنزي، أبو إسحاق، لأبي العتاهية مثنوية شهيرة بها أربعة آلاف بيت تُدعى ذات الحكم والأمثال لكثرة الحكم والأمثال فيها. ابن **الأثير**، **اللباب في تهذيب الأنساب**، ٢ / ٣٧٠. الأصبهاني، الأغاني، ٣/ ١٢٣.

[3] https://fa.wikipedia.org/wiki/ابوشکور_بلخی

[٤] هو أبو قاسم الفردوسي، شاعر فارسي (٩٣٥–١٠٢٠ ميلادية). ولد في قرية فاز بالقرب من بلدة تباران في إقليم طوس بخراسان. عاش في حكم السامانيين في حكم الغزنويين في زمن الخلافة العباسية. اشتهر بتأليف الرواية الملحمية «شاهنامة».

هو أول من استخدم وأدخل هذا النمط الشعري باللغة الأويغورية.

وإضافة على ذلك، هذا العمل المبارك يحتوي على آيتين منفصلتين وأكثر من ٢٠٠ رباعيات تختلف في الوزن والقافية. استنادًا إلى الهيكل النظمي لهذا العمل، نحسب أنه يجب أن يكون قد حرره الشاعر عدة مرات. يضع العلماء أيضًا افتراضات مختلفة حول هذا الموضوع.

٣,٥. تقسيمات الكتاب:

النسخة المتداولة لدينا الآن من كتاب «قوتادغو بيلك» هي النسخة التي جمعها الباحث رشيد رحمتي، والتي تُعتبر النسخة الكاملة بناءً على رأي عدد من الباحثين. هذه النسخة التي قُدمت إلى الخاقان تحتوي على ٦٦٤٥ بيتًا، أي ما يعادل ١٣٢٩٠ شطراً.

ومع ذلك، يرى الباحث التركستاني أحمد ضيائي أن هذه النسخة ليست كاملة، وأن هناك نقصًا في عدد الأبيات، لكنه لم يحدد بالضبط عدد الأبيات المفقودة من الكتاب.

فتكون النسخة الحالية من «قوتادغو بيلك» من عدة أجزاء كما يلي:

الخطوات التمهيدية:

مقدمة النثر: تتألف من ٣٨ سطراً.

مقدمة شعرية: تتألف من ٧٧ بيتًا.

فصول تمهيدية (الفصل الثاني): يتألف من ٣٩٠ بيتًا.

الجزء الرئيسي:

يتناول موضوع الملحمة في ٦٨ فصلاً، وكل فصول في الكتاب يتألف من ٨٥ فصلاً.

إذا تـم تضميـن الأسـئلة والأجوبـة التـي تظهـر فـي هـذه الفصـول، يصـل عـدد العناويـن إلـى ١٧٤ عنوانـًا.

العدد الإجمالي للأبيات في الجزء الرئيسي يبلغ ٥٨٩٦ بيتـًا.

الجزء الختامي:

يتكوَّن من آيتين وفصل مثنوي.

الفصل المثنوي الأخير يرتبط بشكل جزئي بموضوع الملحمة.

الجـزء الرئيسـي يختتـم بيـن الأبيـات ٦٢٦١ و٦٢٨٦، حيث يذكر الشـاعر سـنة كتابـة الكتـاب والغـرض مـن تأليفـه، ويوجـه دعاءً إلـى اللـه، وتحية للنبـي والخلفاء الأربعة.

الإضافات النهائية:

بعـد الأبيـات الختاميـة، أضيفـت أبيـات تعبـر عـن الحـزن علـى الشـباب والتذمر مـن الشـيخوخة وفسـاد الوقـت ومعانـاة الأصدقـاء، يبلـغ عددهـا ٤٤ بيتـًا.

فصل آخر من المثنوي ينصح فيه المؤلف نفسه، ويتكون من ٤٠ بيتـًا.

٦،٣. اللغة المستخدمة:

مـن المسـائل الخلافيـة حـول كتـاب «قوتادغو بيلك» هـي اللغة التي اسـتخدمها الحاجـب يوسـف فـي تأليفـه. فقـد اختلـف العلمـاء والباحثـون حـول تحديـد اللغة الدقيقـة للنـص. فالباحـث الروسـي فادلـوف كان مـن بيـن أوائـل من حاولوا دراسـة لغـة الكتـاب، لكنـه نسـب اللغـة إلـى عـدة لغـات مختلفـة، ونتيجـة لعـدم وضـوح الرؤيـة، توصـل فـي النهايـة إلـى تسـميتها «لغـة قوتادغـو بيلـك»، دون ربطهـا بلغـة معروفة.

من جهة أخرى، قام الباحث تومسون بدراسة عميقة للكتاب، ورفض فكرة فادلوف حول الغموض اللغوي، لكنه أيضًا لم يعين لغة محددة للكتاب. أما الباحث س.ي. مالوف فقد ادعى في البداية أن لغة الكتاب هي «اللغة الجغتائية». وهذا أنا اعتبره خطأ فادحًا ؛ لأن اللغة الجغتائية لم تظهر إلا بعد قرنين بعد الوزير يوسف تقريبًا، في عهد حكم أبناء جنكيز خان في تركستان. بعد ذلك، أعاد مالوف النظر ونسب لغة الكتاب إلى «لغة مسلمي الأويغور».

ويعتقد الباحث أحمد ضيائي إلى أن الوزير يوسف صرح في كتابه بأنه كتبه بلغة «بغراخان»، والتي أطلق عليها اسم «اللغة الخاقانية». كما يعتقد أن غالبية سكان دولة بغراخان في كاشغر كانوا من الأويغور، وبالتالي يمكن القول إن لغة الكتاب هي «اللغة الأويغورية» التي كانت سائدة في عهده[١].

في هذا السياق، يبقى تحديد اللغة التي كُتب بها «قوتادغو بيلك» مسألة خلافية بين الباحثين، نظرًا لتداخل اللغات التركية القديمة وتطورها عبر الفترات الزمنية المختلفة.

٣،٧. الوزن والقافية في الكتاب:

إن المؤلف في كتابه «قوتادغو بيلك» اعتمد على بحر المتقارب[٢] المثمن المحذوف في علم العروض، وهو:

فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعَل
فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعَل

واستمر في استخدام هذا الوزن الشعري حتى البيت رقم ٣٠٨٠. ثم انتقل

[1] ئەهمەد زىيائى، تارىخى مىراس قۇتادغۇ بىلىك توغرىسىدا مۇھاكىمە ۋە بايان، 51.

[٢] ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ١/١٣٦. كتاب بحور الشعر العربي عروض الخليل، ص١٩٧.

إلى الوزن المتقارب[١] المثمن السالم، وهو:

فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ
فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ

وبعد ذلك، عاد مجددًا إلى الوزن الأصلي «فعولن فعولن فعولن فعل» واستمر به حتى نهاية الكتاب[٢].

٣,٨. ولادة الكتاب:

الولادة الأولى: وُلد كتاب «قوتادغو بيلك» في عام ٤٦٢ هـ، وقرأه مؤلفه الوزير يوسف أمام السلطان طابغاج بغرا قاراخان أبو علي حسن بن سليمان آرسلان خان. بعد إتمام القراءة، أكرم السلطان المؤلف ومنحه رتبة الوزير، وسماه «خاص حاجب» (رئيس الوزراء) مما يدل على القيمة الكبيرة للكتاب وتقدير السلطان له.

الولادة الثانية: بعد قراءته الأولى أمام السلطان، اختفى الكتاب عن الأنظار لفترة غير محددة، حيث بقي في خزينة الدولة لسبب غير معروف. ثم ظهر مرة أخرى، وهو ما تشير إليه مقدمة النظم، إذ لا يوجد فرق بين لغة المقدمتين ولغة النص الأساسي للكتاب، مما يؤكد أن النسخة التي ظهرت لاحقًا لا تختلف عن النص الأصلي.

يقول المؤلف فيه:

[١] بحر المتقارب هو أحد بحور الشعر، وسمي بالمتقارب لتقارب أجزائه ؛ لأنها خماسية كلها يشبه بعضها بعضا. البحر المتقارب يتكون من تكرار فعولن أربع مرات في صدر البيت وكذلك في عجوزه، ووحدة الوزن الشعري لهذا البحر فعولن تدخل عليها بعض التغييرات كزحاف فتصبح تفعليلة فعولن فعول (وحذف السبب الخفيف من التفعيلة فتصبح فعولن «فعو= فعل».

[2] محمد قاسم، أعلام تركستان، ترجمة يوسف خاص. ئەھمەد زييائى، تارىخى مىراس قۇتادغۇ بىلىك توغرىسىدا مۇھاكىمە ۋە بايان. 21. لاڭ يىڭ، قۇتادغۇ بىلىك ۋە شەرىق غەرب مەدەنىيىتى، تەرجىمان: ئىمىن ئەھمەدى، ش: خەلىق نەشرىياتى، 112.

١- رب قادر علو أبدًا
شكرًا جزيلاً بحمده ثبت

٢- قدوس قادر ذو الجلال ...
رب خالق قدره الكمال

٣- رب السماوات وكل مخلوق كما
كافل برزقك تأكل تفرحا

٤- يبسط الرزق جميعًا بلا عدد
ويطعم عباده ولا يطعم قط

٥- لا يترك جوعًا كل من به نفس
يؤكل يشرب جميعهم وبس

٦- كيفما يشاء كان كما شاء
يعز من يشاء بحكم أبد

٧- صلاة سلام على رسوله اصطفى
ولصحبه ومن به قد اهتدى

٨- محمد رسوله للخلق سيدا
قرة العين لهم به بدا

٩- وهذا كتاب عزيز مهم
كبحر عظيم لذوى العلم

١٠- مزين بعلوم ذي قيم
كن قنوعًا وشاكرًا به وتم

١١- يحوى جميع الحكم قد انتشر
تنظيمه كالدرر قد انتثر

١٢- سلطان (ماجين) ملك المشرق
عالم عاقل حصيف كمشرق

١٣- جميعهم بالكتاب بملكه استحوذوا
جعلوه رهن الخزين استأثروا

١٤- توارثوا عن بعضهم تفردوا
تحرزوا عن غيرهم تعصبوا

١٥- وبه فوائد وما به ضرر
وكثرة من الترك به كفر

١٦- يعرفه فطن ومن به فهيم
يكتب ويقرأ، ولكن غير عليم

١٧- كتابنا ينير لك طريقا
دنياك والأخرى يكن رفيقا

١٨- سلطان (الصين) بكونه حكيما
مدحه وأثنى عليه جميعا

١٩- بلاد (الصين) والشرق ممالك الأتراك
خالية من مثل ذا وسائر الأملاك

٢٠- يقدر بقدره من به العلم
وجاهل يجهله وقد علم

٢١- لا يمكن تعيره لمن هب ودب
وإن يكن صديقا حجبه وجب

٢٢- لآنه بجهله يعرضه التلف
وعاقل يقرأه يفهم العجب

٢٣- في عهد «بغرا خان» وقد ألفه
بلسان هذا الفهد قد نظمه

٢٤- الأولون بمثله لم يأته
وكذا الآخرون لا يأته

٢٥- فمن هو يكتب مثل هذا السفر
إذا وجد أكن له ذو الفخر

٢٦- في مدن وقرى وبدو وحضر سواء
أطلقوا عليه مختلف الأسماء

٢٧- مختلف الأسماء لذا قد أطلقوا
في بدونا وحضر وقد عزوه

٢٨- حكيمهم من نحل وملل
سموه في زمنهم بأسماء

٢٩- الصين (آداب الملوك) ذا
ماجين (أنس الملوك) بذا سما

٣٠- أهل الشرق عزوه بـزينة الأمراء
وقروؤه في مجالس العظماء

٣١- «شاهنامة» ذا فى الفرس قد اشتهر
«قوتادغو بيلك» عندنا قد اعتبر

٣٢- بغزير العلم في بين الملل
باختلاف الألسن اسم شمل

٣٣- على الذين وضعوا أسماءه
يغفر لهم ربهم أوزارهم

٣٤- نرجو له قبولكم في ربعنا
تركى ذا إعجابكم فخر لنا

٣٥- قبله جمع غفير وقد ثبت
ملوكهم في حكمهم قد استند

٣٦- لناظمي إدارة السلطان
حكيمنا دون ذا البيان

٣٧- يحمى بذا مليكه وسلطته
حاو على كل النظم لملته

٣٨- يعود بالملك إلى أصحابه
يعلج الضعف اعترى أوصاله

٣٩- تنظيم جند سياسة الخدام
تكتيكك ذا لتجميع والإقدام

٤٠- ترتيب ذا مفصل منظم
تفنيد كل مهمة فيه مقسم

٤١- وكل راع في حماه مستحكم
يوصى على غماله يستحسم

٤٢- ويلزم العقال في سلطانه
كالبدر محصونا تحت سمائه

٤٣- على المليك حقوق ذا الأنام
عليهم طاعة ذا الإمام

الولادة الثالثة: تشير مقدمة النثر في نسخة فرغانة إلى مرحلة جديدة في حياة كتاب «قوتادغو بيلك». إذ تلاحظ أن لغة مقدمة النثر تختلف قليلاً عن لغة الكتاب الأساسي. ففي هذه المقدمة، استخدمت كلمات فارسية مثل «شاه» و»خرد»، وهاتان الكلمتان لم تُستخدما في النص الرئيسي للكتاب، مما يشير إلى أن هذه المقدمة قد تكون أُضيفت في وقت لاحق أو أثناء إعادة إنتاج الكتاب في نسخة فرغانة.

٣,٩. الأبطال في قوتادغو بيلك:

يعكس كتاب «قوتادغو بيلك» عالمًا فنيًا ورمزيًا غنيًا، حيث تتشكل الشخصيات الرئيسية من أربعة رموز أساسية تعبر عن قيم إنسانية وسياسية وفلسفية، كما تعكس مفاهيم عميقة تتعلق بالحكم والحياة الإنسانية. فهذه الشخصيات ترمز إلى جوانب مختلفة من الحياة والإدارة الحكيمة، وكل منها يمثل مبدأً حيويًا للحكم والعيش.

ومن بين هؤلاء الشخصيات نرى تمثيلاً للعدالة، الحكمة، العقل، والرضا. هذه الشخصيات ليست مجرد رموز، بل هم أبطال حقيقيون يتفاعلون مع بعضهم البعض من خلال محادثات وأحداث تعكس الحياة الإنسانية بجوانبها

المختلفة، وهم:

١. كونتوغدي: هو رمز العدل، وهو الحاكم العادل والصادق، كما هو الحاكم الأعلى في القصة، الذي يضيء مثل الشمس، مما يشير إلى أهمية العدل كركيزة أساسية لأي حكم مستقر ومزدهر. العدالة هي التي تضمن الاستقرار والتناغم بين جميع أفراد المجتمع.

وكذلك هو يمثل العدالة في النص، وتبرز العدالة هنا كأعلى قيمة يجب أن يتسم بها الحاكم. العلاقة بين كونتوغدي وأيتولدي تُظهر كيف يجب أن تتفاعل العدالة مع الحكمة لتحقيق الخير العام.

٢. أيتولدي: هو عالم حكيم وخبير، يجمع بين الحكمة العميقة والمعرفة الواسعة. كما هو يمثل الدولة أو القوة، وهو رئيس الوزراء في النص، ورمز للدولة كقوة داخلية تضم الثروة، والبركة، والحظ، والسعادة، والسلطة. أيتولدي يجسد القوة والمستشار الرئيسي للحاكم، ولكنه يذكر بأن هذه القوة والسعادة ليست ثابتة، فهي تتغير مثل القمر، تتلاشى وتضعف أحيانًا. وفي النهاية، يمرض أيتولدي ويموت، مما يدل على زوال السعادة والثروة بشكل مؤقت.

٣. أوغدولميش: هو ابن أيتولدي وخليفته، ويعتبر رمز العقل والمعرفة. العقل والمعرفة، على عكس السعادة والثروة، ثابتان ودائمين، ويمكن أن يحلا محل النعم المادية التي قد تكون عابرة. أوغدولميش هو الشخصية المحورية في النص، ويمثل الحكمة التي تقود إلى السعادة الحقيقية. ومن هنا يأتي الاسم الأصلي للكتاب «قوتادغو بيلك»، أي «المعرفة التي تؤدي إلى السعادة». الفكرة المركزية هي أن السعادة الحقيقية تأتي من العقل والمعرفة وليس من السعادة المادية الزائلة. فهو في البداية، يظهر كشخصية شابة وغير ناضجة، ولكنه يتطور مع مرور الوقت بفضل النصائح التي يتلقاها من الحاكم وأبيه. في النهاية، يصبح أوغدولميش مستشارًا للحاكم، ويمثل الذكاء والحكمة التي تظل ثابتة في مواجهة تقلبات الحياة.

٤ . أوزغورميش: هو الرمز الرابع في العمل، وهو يمثل الرضا أو القناعة. إذ كان الشخص غير راضٍ عن مجتمعه أو حياته، فإن الثروة والحظ لا يمكن أن تجلب له السعادة الحقيقية. أوزغورميش، الذي هو من أقارب أيتولدي، يرمز إلى السعادة الروحية الناتجة عن القناعة والرضا. ومع ذلك، يظل هذا الرضا هشًا في غياب العقل والمعرفة، وهو ما يدفع أوغدولميش إلى تذكير الحاكم بضرورة الاستعانة بالعقل لإيجاد السعادة والرضا في الحياة. وكذلك يمثل أوزغورميش جانبًا صوفيًا من الحياة، حيث يسعى للزهد والتقوى. يتبنى أوزغورميش نظرة صوفية للحياة، حيث الرضا لا يأتي من السعي وراء الثروة أو السلطة، بل من التأمل في العواقب والتخلي عن هموم الدنيا. يتجنب المشاركة المباشرة في الحكم، ولكن الحكماء يبحثون عنه للتعلم من حكمته الروحية. في النهاية، يمرض أوزغورميش ويموت أيضًا، مما يشير إلى أن حتى الرضا ليس دائمًا، وأن الحياة تعتمد على التوازن بين العقل والعدالة. يبقى كونتوغدي، رمز العدل، وأوغدولميش، رمز العقل، كالشخصيتين الرئيسيتين اللتين تجسدان الأسس المتينة للحكم الناجح.

هذه الرموز ليست مجرد مفاهيم مجردة، بل تعبر عن فلسفة إسلامية عميقة تجمع بين الحكمة الروحية والمعرفة العملية لتحقيق السعادة الحقيقية في الحياة.

إن كتاب «قوتادغو بيلك» بهذا المعنى هو عمل ذو أهمية كبيرة في الأدب التركي والإسلامي، حيث يقدم رؤية متكاملة للعلاقة بين العدالة، العقل، الرضا، والحكم المثالي.

٣,١٠. العلاقات بين الشخصيات:

العلاقة بين كونتوغدي وأيتولدي توضح أهمية التعاون بين العدالة والحكمة في الحكم. كونتوغدي يحتاج إلى نصائح أيتولدي، ولكن عندما يموت أيتولدي، يصبح العقل (أوغدولميش) هو البديل الضروري. أما أوزغورميش،

فهو يعبر عن روحانية مختلفة، تعتمد على الرضا والزهد. الحاكم كونتوغدي يرسل رسالة إلى أوزغورميش ثلاث مرات، معبرًا عن الحاجة للتواصل مع الحكمة الروحية. هذه الرسائل تعكس كيف يجب على الحاكم العادل أن يسعى للحصول على نصائح الزاهد أو الصوفي ؛ لأن العدالة وحدها ليست كافية دون الرضا والقناعة.

الوزير الحاجب يوسف يربط بين هذه الشخصيات ومفاهيم التصوف، حيث يُظهر كيف يمكن للزهد والتقوى أن يكونا مصادر قوة روحية في الحكم. العقل والمعرفة (كما يمثلها أوغدولميش) يُعتبران أدوات لخدمة العدالة، بينما الزهد (كما يمثله أوزغورميش) يقدم استراحة روحية وتوازنًا.

فنستطيع أن نقول أن هذا العمل الأدبي يظهر كيف يمكن للعقل والمعرفة أن ينموا ويتطوروا من خلال التعلم والنصائح. فالتصوف والزهد هنا ليسا مجرد مفاهيم دينية، بل هما جزء من الحكمة الإنسانية التي تسهم في تحقيق العدالة الحقيقية.

٣,١١. محتويات قوتادغو بيلك:

يصف كتاب «قوتادغو بيلك» البيئة التاريخية الفريدة لفترة ازدهار الإمارة القَرَخانية، حيث يعكس الأحوال الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفكرية التي كانت سائدة في تلك الفترة. يجمع الكتاب بين الجوانب الفلسفية والتعليميّة، مما يجعله موسوعة شاملة تقدم رؤى متنوعة في الفلسفة والأخلاق والحكم الرشيد.

فمن الناحية الفلسفية، يعكس الكتاب الأفكار التي تدور حول العدالة والفضيلة والواجبات الأخلاقية للحاكم والشعب، مع التركيز على أهمية التوازن بين القوة والعدالة في إدارة الدولة. القوة الاقتصادية والسياسية في سلالة

القَرَخانيون تظهر من خلال تحليل كيفية تنظيم الدولة والتجارة والعلاقات الدولية، حيث كان الحاكم يُعتبر رمزًا للاستقرار والقوة.

أما الجانب التعليمي والأخلاقي في قوتادغو بيلك، فيؤكد على القيم الإسلامية والمبادئ الأخلاقية التي يجب أن تحكم تصرفات الأفراد داخل المجتمع، لا سيما الطبقات الحاكمة. كما يؤكد أهمية التعليم الأخلاقي كركيزة أساسية في تكوين القادة.

إلى جانب ذلك، يناقش «قوتادغو بيلك» الآراء الاجتماعية المتعلقة بالتفاعل بين الحاكم والمحكومين، ويقدم نصائح حول إدارة الحياة الاجتماعية بشكل عادل ومتوازن، مما يعكس مدى تطور الفكر الاجتماعي في تلك الفترة.

يقول المفكر الأويغوري عبد الشكور محمد أمين: عندما بدأ الحاجب يوسف في كتابة «قوتادغو بيلك»، لم يكن في تاريخ الأدب الإنساني أعمال بحجم وإبداع هذا الكتاب الفريد. لم تكن الأعمال الأدبية الملحمية مثل أغنية رولاند (La Chanson de Roland) في الأدب الفرنسي، والتي تروي في أكثر من أربعة آلاف بيت شعري معركة تاريخية بين جيش شارلمان والجيش الإسلامي في معركة رونسفو. ولم تكن قد ظهرت ملحمة السيد (El Cantar de mio Cid) في الأدب الإسباني، وهي قصيدة ملحمية مكونة من حوالي ثلاثة آلاف وسبعمائة بيت شعري تروي قصة البطل القومي الإسباني رودريغو دياث دي فيفار، المعروف بالسيد. تسلط هذه الملحمة الضوء على نضال السيد لاستعادة شرفه في سياق الحروب ضد المسلمين في شبه الجزيرة الإيبيرية.

أما في الأدب الروسي، فلم تكن قد ظهرت بَعْدُ قصيدة إيغور (The Tale of Igor's Campaign)، التي تُعتبر واحدة من أشهر النصوص التاريخية الروسية، التي تروي حكاية حملة الأمير إيغور ضد القبائل البولوفتسية في القرن الثاني عشر، وتعد شهادة أدبية مهمة على صراع الدولة الروسية القديمة

مع أعدائها.

بالمقارنة مع هذه الأعمال التي ظهرت لاحقًا في مختلف الحضارات، كان «قوتادغو بيلك» عملاً استثنائيًا في زمنه، يجمع بين الفلسفة، والتعليم الأخلاقي، والآراء الاجتماعية، والسياسية.

وهو يمثل قمة الإبداع في الأدب والفكر في فترة ازدهار الإمبراطورية القَرَخانية. رغم ظهور بعض الأعمال الأدبية المميزة خلال عهد أسرة سونغ في الصين، كان التركيز في تلك الفترة على موضوعات مثل الحزن والهجرة، دون أن تعكس هذه الأعمال الإصلاحات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتعليمية بشكل شامل كما فعل كتاب «قوتادغو بيلك».

كان الأدب السائد في عهد سونغ يتناول القضايا العاطفية والشخصية، ولكنه لم يعالج بشكل مباشر المشكلات المجتمعية والسياسية الواسعة. في المقابل، يُعتبر «قوتادغو بيلك» عملاً شاملاً يهدف إلى تقديم تعليمات أخلاقية وسياسية واجتماعية تهدف إلى إصلاح الدولة والمجتمع في ظل الإمبراطورية القَرَخانية.

وعلى الرغم من ظهور بعض المحتويات الأدبية الهامة في تلك الحقبة في الصين، فإن بعض الأعمال الكبرى التي تحتوي على موسوعات تاريخية ضخمة، مثل زيزهي تونغجيان (Zizhi Tongjian) الذي جمعه المؤرخ الصيني سيما غوانغ، ودونغسي تونغجيان (Dongxi Tongjian) لم تكن قد ظهرت بعد.[١]

لإظهار المحتويات الشاملة التي تضمنها كتاب «قوتادغو بيلك»، من أعلى القيم العقائدية إلى أدق التفاصيل المتعلقة بالآداب اليومية، سنستعرض الفصول والأبواب التي يضمها الكتاب. هذا العرض سيمكن القارئ من تقدير قيمة

[1] ئابدۇشكۇر مۇھەممەد ئەمىن، قۇتادغۇ بىلىكنىڭ ئىلمى قىممىتى توغرىسىدا. 07.

الكتاب وفهم محتواه بشكل أعمق، مما يؤكد صدق الثناء الذي نوجهه لهذا العمل العظيم.

فيتكون يتكون كتاب «قوتادغو بيلك» من ٦٦٤٥ بيتًا شعريًا موزعة على ٨٥ بابًا، والأبواب هي:

مقدمة النثر (١–٣٨)

مقدمة النظم (١–٧٧)

١. المدح والثناء لله عز وجل (١–٣٣)

٢. الصلاة والسلام على رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم (٣٤–٤٨)

٣. المدح للخلفاء الأربعة (٤٩–٦٢)

٤. المدح للخاقان بوغرا خان العظيم (٦٣–١٢٣)

٥. في النجوم السبعة والأبراج الاثني عشر (١٢٤–١٤٧)

٦. قيمة الإنسان بالعلم والعقل (١٤٨–١٦١)

٧. فضائل اللسان وعيوبها ومنافعها ومضارها (١٦٢–١٩١)

٨. اعتذار صاحب الكتاب (١٩٢–٢٢٩)

٩. فضائل فعل الخير وفوائده (٢٣٠–٢٨٦)

١٠. فضل العلم والعقل وفوائده (٢٨٧–٣٤٩)

١١. اسم الكتاب ومعناه وعمر المؤلف (٣٥٠–٣٩٧)

١٢. بداية الكلمة: عن كون توغدي (٣٩٨–٤٦١)

١٣. دخول آي تولدي في خدمة الحاكم كون توغدي (٤٦٢–٥٨٠)

١٤. ظهور آي تولدي أمام الحاكم كون توغدي (٥٨١–٦١٩)

١٥. آي تولدي يخبر الحاكم بأنه «الدولة» (٦٢٠–٦٥٦)

١٦. آي تولدي يخبر الحاكم عن الدولة (٦٥٧-٧٦٤)
١٧. الحاكم كون توغدي يخبر آي تولدي عن وصف العدالة (٧٦٥-٧٩١)
١٨. الحاكم كون توغدي يخبر آي تولدي عن كيفية العدالة (٧٩٢-٩٥٤)
١٩. آي تولدي يخبر الحاكم عن فضائل اللغة وفوائد الكلمات (٩٥٥-١٠٤٤)
٢٠. مؤقت السعادة ومتقلب الدولة (١٠٤٥-١١٥٧)
٢١. آي تولدي يقدم الوعظ لابنه أوغدولميش (١١٥٨-١٢٧٧)
٢٢. آي تولدي يقدم النصيحة لابنه أوغدولميش (١٢٧٨-١٣٤١)
٢٣. وصية آي تولدي للحاكم كون توغدي (١٣٤٢-١٥٤٧)
٢٤. الحاكم كون توغدي يستدعي أوغدولميش (١٥٤٨-١٥٨٠)
٢٥. ظهور أوغدولمش أمام الحاكم كون توغدي (١٥٨١-١٥٩٠)
٢٦. دخول أوغدولمش في خدمة الحاكم كون توغدي (١٥٩١-١٨٤٩)
٢٧. أوغدولمش يحكي للحاكم وصف العقل (١٨٥٠-١٩٢٠)
٢٨. مقولة أوغدولمش عما يجب أن يكون عليه العقل المستحق للإمارة (١٩٢١-٢١٨٠)
٢٩. أوغدولميش يخبر السلطان كيف يجب أن يكون رئيس الوزراء (٢١٨١-٢٢٦٨)
٣٠. أوغدولمش يحكي للحاكم كيف يجب أن يكون القائد (٢٢٦٩-٢٤٣٤)
٣١. أوغدولميش يخبر الحاكم أي نوع من الأشخاص يجب أن يكون أولوغ حاجب (رئيس الوزراء) (٢٤٣٥-٢٥٢٧)
٣٢. أوغدولميش يحكي للحاكم كيف يجب أن يكون الخادم الرئيسي (٢٥٢٨-٢٥٩٥)

٣٣. أوغدولميش يخبر الحاكم عن نوع الشخص الذي يجب أن يرسله سفيرًا (٢٥٩٦-٢٦٧١)

٣٤. أوغدولمش يخبر السلطان كيف يجب أن يكون كاتب السلطان (٢٦٧٢-٢٧٤٢)

٣٥. أوغدولميش يخبر السلطان كيف يجب أن يكون الخازن (٢٧٤٣-٢٨٢٧)

٣٦. أوغدولميش يخبر الحاكم كيف يجب أن يكون رئيس الطباخين (٢٨٢٨-٢٨٨٢)

٣٧. أوغدولميش يخبر الحاكم كيف يجب أن يكون رئيس السقاة (٢٨٨٣-٢٩٥٦)

٣٨. أوغدولمش يحكي للحاكم ما هي حقوق الخدم على السادة (٢٩٥٧-٣١٨٦)

٣٩. السلطان كون توغدي يكتب ويرسل رسالة إلى أودجورميش (٣١٨٧-٣٢٨٨)

٤٠. زيارة أوغدولمش إلى أودجورميش (٣٢٨٩-٣٣١٧)

٤١. مناظرة أودجورميش مع أوغدولميش (٣٣١٨-٣٥١١)

٤٢. أودجورميش يحكي أوغدولمش عن عيوب الدنيا (٣٥١٢-٣٦٤٥)

٤٣. أوغدولمش يخبر أودجورميش عن الوصول إلى الآخرة من خلال هذا الدنيا (٣٦٤٦-٣٧١٢)

٤٤. رسالة أودجورميش إلى السلطان (٣٧١٣-٣٨٩٥)

٤٥. السلطان كون توغدي يرسل الرسالة الثانية إلى أودجورميش (٣٨٩٦-٣٩٧٠)

٤٦. مناظرات أودجورميش مع أوغدولميش للمرة الثانية (٣٩٧١-٤٠٣٠)

٤٦٤٣)

٦٦. أوغدولميش يحكي لأوغورميش آداب الدعوة إلى الوليمة (٤٦٤٤-٤٦٧٩)

٦٧. أودغورميش يخبر أوغدولميش بالزهد في الدنيا والقناعة بما في يده (٤٦٨٠-٤٩٣٣)

٦٨. الحاكم كون توغدي يدعو أودغورميش للمرة الثالثة (٤٩٣٤-٥٠٣٠)

٦٩. قدوم أودغورميش إلى أوغدولميش (٥٠٣١-٥٠٣٤)

٧٠. لقاء السلطان كون توغدي مع أودغورميش (٥٠٣٥-٥١٣١)

٧١. أودغورميش يقدم النصيحة للسلطان (٥١٣٢-٥٤٦٦)

٧٢. أوغدولميش يحكي للحاكم طريقة تنظيم البلاد (٥٤٦٧-٥٦٣١)

٧٣. توبة أوغدولمش عن حياته الماضية (٥٦٣٢-٥٧٢٠)

٧٤. توجيهات أودغورميش لأوغدولميش (٥٧٢١-٥٧٦١)

٧٥. إظهار الحق مقابل الحق، الإنسانية مقابل الإنسانية (٥٧٦٢-٥٩٥٢)

٧٦. أودغورميش يصبح مريضا ويستدعي أوغدولمش (٥٩٥٣-٥٩٩٢)

٧٧. أوغدولميش يروي لأودغورميش تفسير الأحلام (٥٩٩٣-٦٠٣١)

٧٨. أودغورميش يخبر أوغدولميش بأنه رأى رؤية (٦٠٣٢-٦٠٣٦)

٧٩. تفسير أوغدولمش لحلم أودغورميش (٦٠٣٧-٦٠٤٦)

٨٠. تفسير أودغورميش لهذا الحلم من أوغدولمش (٦٠٤٧-٦٠٨٦)

٨١. نصيحة أودغورميش لأوغدولميش (٦٠٨٧-٦٢٨٥)

٨٢. قومارو يبلغ لأوغدولميش أن أودغورميش قد مات (٦٢٨٦-٦٢٩٢)

٨٣. تعازي قومارو لأوغدولميش (٦٢٩٣-٦٢٩٨)

٨٤. حداد أوغدولمش على أودغورميش (٦٢٩٩-٦٣٠٣)

٨٥. تعازي السلطان لأوغدولميش (٦٣٠٤-٦٥٢٠).

٨٦. ملاحقات:

٨٧. شفقته على شبابه وكبر سنه (٦٥٢١-٦٥٦٤)

٨٨. اضطراب الزمان ومعاناة الأصدقاء (٦٥٦٥-٦٦٠٤)

٨٩. وصية يوسف خاص حاجب، صاحب الكتاب (٦٦٠٥-٦٦٤٥)

تظهر من خلال ما تضمنته فصول كتاب «قوتادغو بيلك»، نرى أن هذا العمل يغطي جوانب متعددة من حياة الإنسان، بداية من الأسس العقائدية والأخلاقية التي يجب أن يلتزم بها، مرورًا بتوجيهاته للحكَّام حول كيفية إدارة شؤون الدولة وتحقيق العدالة، وانتهاءً بالقيم الاجتماعية والاقتصادية التي تدعم بناء مجتمع قوي ومزدهر.

الكتاب يركز على كيفية إدارة الحاكم للبلاد بطريقة عادلة تحمي حقوق الرعية وتضمن تحقيق الخير العام، ويعطي أهمية كبيرة للعقل والتعليم كأدوات أساسية لتحقيق التنمية والتقدم. في هذا السياق، يقدم «قوتادغو بيلك» نصائح قيمة للشباب حول كيفية تنمية عقولهم والالتزام بالقيم الصحيحة، ويضع توجيهات للمربين والمعلمين في كيفية نقل هذه القيم والمعرفة بشكل فعال.

إلى جانب ذلك، يركز الكتاب على القيم الاقتصادية والأخلاق التي يجب أن يتبعها الأفراد في تعاملاتهم اليومية، مثل النزاهة، والعدل، والحرص على المصلحة العامة. كما يُبرز الكتاب السلوكيات الاجتماعية اليومية المتعلقة بآداب الطعام واللباس، ويقدم إرشادات حول كيفية التعامل مع الآخرين.

ما يجعل «قوتادغو بيلك» مرجعًا مهمًا هو قدرته على تقديم نموذج شامل للحياة المثالية التي تمزج بين العقيدة الصحيحة، والقيم الأخلاقية، والسياسية، والاجتماعية. بهذا، يمثل الكتاب خارطة طريق للحياة الفاضلة، مما يجعله

مرجعًا لا غنى عنه في الأدب الأخلاقي والسياسي في العالم الإسلامي، ويعكس مكانته الكبيرة في الأدب التركي الإسلامي.

٣,١٢. سبب تأليف الكتاب

يعود سبب تأليف الحاجب يوسف لكتابه «قوتادغو بيلك» إلى كون الحاجب يوسف متأثراً بشدة بالمشاكل السياسية والاجتماعية التي رآها حوله، فهو شهد النزاعات بين الأسرة الحاكمة والاختلاف بين الأمراء، وانتشار الرشوة والانحلال الأخلاقي بين العامة والخاصة. كما شهد ذلة أهل الحق وعلو أهل المكر والخداع، إضافة إلى التهاون في تطبيق الأحكام الشرعية الإسلامية، وهو ما جعله يشعر بالحزن العميق والتفجع[١]. فاستخدم مواهبه الأدبية والشعرية لإيصال رسالة إصلاحية شاملة من خلال هذا الكتاب، كما سعى إلى تقديم حلول عملية وتوجيهات أخلاقية وحكمية لبناء مجتمع مثالي يستند إلى العدالة والتقوى.

استجابةً لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»[٢]، قرر الحاجب يوسف التصدي لهذه المنكرات عبر تأليف هذا الكتاب الفريد المملوء بالأبيات الإصلاحية، حيث سعى من خلاله إلى إحياء قيم العدالة ونشر الأخلاق الإسلامية بين العامة والخاصة، وفي مختلف مجالات الحياة من السياسة إلى الأسرة، ومن الحاكم إلى عامة الشعب.

كانت غاية الحاجب يوسف بناء مجتمع مثالي مؤسس على العدالة والتقوى، وقد رسم في كتابه «قوتادغو بيلك» صورة للمجتمع الذي كان يتمنى أن يقوم، مستخدمًا شعره لطرح هذا النموذج بأسلوب مفعم بالحب والإخلاص.

[1] Prof. Dr. Hüseyin AKYÜZ KUTADGU BİLİG'DE SOSYO-PEDAGOJİK VE SİYASAL SÖYLEM. S.3.

[٢] مسلم، الصحيح، رقم الحديث: ٤٩.

٣,١٣. مكانة الكتاب:

يحتل كتاب «قوتادغو بيلك» مكانة مرموقة في الأدب التركي الإسلامي، وهو أول كتاب مكتوب باللغة التركية تحت ظل الإسلام. كما أشار د. حسين مجيب المصري، فإن الكتاب يعتبر أثرًا فريدًا في الأدب الأويغوري والتركي، حيث ألَّفه الوزير الحاجب يوسف في مدينة كاشغر عام ١٠٧٩م. ومعنى عنوانه «علم السعادة»، والكتاب منظوم وهو في الأخلاق وسياسة الملك، ففيه تبيان لحق الرعية على راعيها وواجب المحكوم نحو الحاكم وتحدث الكاتب عن الفضيلة والرذيلة ... والروح التركية تتجلى فيه من مقدمته إلى خاتمته ... والمؤلف معتز بما كتب فمن قوله في المقدمة: لقد أجمع أهل الذكر في الصين والتركستان وكل بلاد المشرق على أن هذا الكتاب وحيد نسجه فريد في بابه، وأن أقلام بلغاء الترك لتكبو دونه ويعز عليها أن تأتي بشيء مثله، وقد سمَّاه أهل الصين «أدب الملوك»، وعرف عند أعيان البيان في المشرق بـ «زينة الأمراء»، أما الفرس فقالوا إنه «شاهنامه تركية»، وقال غيرهم نصائح الملوك. إلى أن قال: فهو أول كتاب كتب باللغة التركية في ظل الاسلام، إذ تتجلى فيه الروح التركية، فهو يمثل خلاصة الحكمة الإسلامية، بمضمونه يؤكد على الأسس الرئيسة للسياسة الشرعية وإدارة الحكم، وهو أول كتاب اجتماعي وتربوي موسوعي باللغة الأويغورية التركية، فقد قدَّم أفكارًا عن علم الاجتماع، ومن خلال ذلك يكون الحاجب يوسف قد سبق ابن خلدون في عرض هذه الأفكار وتحليلها، لهذا أحدث اكتشافه ضجة كبرى في تاريخ العلم والاجتماعية التركي والفكر الإسلامي والزهد والتصوف والأخلاق والتزكية والسياسية الشرعية والحكومية، وطرق الحرب والمعارك، والعمران من البداية إلى النهاية[١].

ويقول: الكاتب القرغيزى الكبير جنكيز آيتماتوف في المؤتمر عن الأعلام الأتراك الذي عقد في مدينة بشكيك عام ١٩٨٨م: «في رأيي يصح لو قلنا: إن

[١] حسين مجيب، الأدب التركي، ص: ٣.

الحاجب يوسف ومحمود الكاشغرى منسوبان إلى الشعب الأويغورى أولاً، ثم إلى الشعب التركي ثانيا. والشعوب التركية الأخرى قد بدأوا تدوين مؤلفاتهم الأدبية بعد الأويغور»[١].

فتظهر مكانة «قوتادغو بيلك» أيضا بكونه عملاً أدبيًّا مهمًّا مكتوبًا باللغة التركية القَرَخانية، وهو يعكس ثقافة وتراث الجغرافيا التركية. لكن هذا الكتاب يتجاوز نطاق الجغرافيا التركية ليصبح مرجعًا شاملًا لمجموعة من القضايا الإنسانية التي تهم البشرية جمعاء. فمن خصائص الكتاب:

١. اللغة والأسلوب:

قد كُتب باللغة التركية القَرَخانية، مما جعله جزءًا من التراث اللغوي والثقافي للشعوب التركية.

٢. المحتوى الشمولي:

تناول الكتاب موضوعات تهم الإنسانية بشكل عام، مثل العدالة، والحكم الرشيد، والأخلاق، والعلاقات الاجتماعية، مما يجعله ذا صلة بأفراد من خلفيات ثقافية مختلفة.

٣. التركيز على القضايا الإنسانية:

طرح الكتاب مجموعة من المشكلات الاجتماعية والسياسية التي يمكن أن تواجه أي مجتمع، مما يجعله مصدر إلهام للأجيال الحالية والمستقبلية.

٤. العادات والثقافة:

عكس عادات وتقاليد وثقافة الشعب التركي في تلك الفترة، مما ساعد في

[1] https://ar.wikipedia.org/wiki/يوسف_خاص_حاجب

فهم السياق الاجتماعي والسياسي الذي كُتب فيه.

٥. التأثير العالمي:

يُظهر «قوتادغو بيلك» أن الفكر الإنساني لا ينحصر في حدود معينة، بل يتجاوز الجغرافيا ليعبر عن تجارب ومشاعر مشتركة بين جميع البشر. إن القضايا التي يتناولها الكتاب هي قضايا تتعلق بالإنسانية جمعاء، مثل العدالة الاجتماعية، والعلاقات بين الحاكم والمحكوم، وتوزيع الثروات، وهو ما يجعله دليلاً خالداً للفكر الإنساني.

ويمكن أن نقول في الأخير كما قال: نهاد سامي: لقد أصبح الأدب التركي – بعد كتاب الحاجب يوسف – أكثر شمولاً وعالميةً بعد إذ كان محليًّا، وأصبح مكتوبًا ومدونًا بعد إذ كان شفويًّا، واتخذت موضوعاته طابعًا إنسانيًا عامًا بعد أن كانت لا تعدو مجموعة ترانيم وابتهالات دينية؛ فقد شرع الأدب يتناول موضوعات علمية وفكرية، ويعبر عن المشاعر والأحاسيس الانسانية. كما عبر الأدب عن قيم ومفاهيم جديدة تقوم على الخلق الاسلامي. ومن ثم أصبح الأدب التركي كفؤاً لأن يشارك الأدب العربي والفارسي في البيئة الجديدة[١].

٣,١٤. لمن قوتادغو بيلك:

إن «قوتادغو بيلك» لم يُكتب قاصدًا لعامَّة الناس، بل كان موجهًا بشكل أساسي إلى الحكَّام والأمراء والوزراء، وذلك لتوجيههم نحو حكم قائم على مبادئ العدالة والأخلاق الإسلامية. الكتاب يمثل أداة توجيهية تعكس رؤية الحاجب يوسف في كيفية إدارة الدولة وفق القيم الإسلامية والأخلاق الفاضلة. في ظل الهيمنة التركية على أجزاء واسعة من العالم الإسلامي آنذاك، كان من الضروري وجود مؤلف مكتوب باللغة التركية لتثقيف الحكام والأمراء بشأن

[١] زكريا كتابجي، الترك في مؤلفات الجاحظ، ٩١.

المسؤوليات الكبيرة الملقاة على عاتقهم.

استجاب الحاجب يوسف لهذه الحاجة الاجتماعية بشكل مميز وألَّف هذا الكتاب بأسلوب حكيم ومهني.

يظهر ذلك من خلال استقبال السلطان هارون بغراخان خان للكتاب وتكريمه ليوسف، مما عكس مدى توافق رموز الكتاب مثل كونتوغدي (العدالة) وأيتولدي (الدولة) مع واقع الحياة السياسية والاجتماعية. ويبرز أن الكتاب لم يكن مجرد عمل أدبي، بل كان أداة لتطبيق مفاهيم الحكم العادل والسياسة الأخلاقية.

كما تغطي الفصول من ١٥ إلى ٢٥ حوارات بين الشخصيتين الرئيسيتين كونتوغدي (العدالة) وأوغدولميش (الحكمة)، وهي محادثات تسلط الضوء على كيفية تحقيق العدالة في الحكم. أما الفصول من ٣١ إلى ٥٣ فتتحدث عن المحادثات بين أوغدولميش وأوزغورميش (الزهد)، والتي تناقش كيفية تحقيق الرضا الشخصي والزهد في ظل المسؤوليات الكبيرة.

فالكتاب يقدم وصفًا دقيقًا لمختلف الفئات الاجتماعية في ذلك الوقت، بدءًا من الأمراء والجنود والحكام، وصولًا إلى الفلاحين، والتجار، والحرفيين، والفقراء. وهو يشرح كيفية التعامل العادل مع كل فئة، مما يعكس فلسفة الحاجب يوسف في ضرورة حكم المجتمع بروح من العدل والمساواة بين جميع طبقاته.

٣,١٥. نسخ كتاب «قوتادغو بيليك»:

على الرغم من أن النسخة الأصلية لكتاب «قوتادغو بيلك» مفقودة حتى الآن، ظهرت عدة نسخ تاريخية مهمة. من أبرز هذه النسخ:

١. نسخة هرات:

وهي النسخة التي نُسخت في مدينة هرات، وسُميت بهذا الاسم نسبةً إلى مكان نسخها. كما عُرفت أيضًا بـ «نسخة فيينا» نظرًا لوجودها لاحقًا في المتحف الملكي في فيينا. نُسخت هذه النسخة بعد ٣٦٩ عامًا من تأليف كتاب «قوتادغو بيلك»، أي في عام ١٤٣٩م في هرات، وذلك بحسب التاريخ المذكور في النسخة نفسها، والتي نُسخت على يد الكاتب «حسن قاراسابيل شمس». بعد ٣٥ عامًا من نسخها، أي في عام ١٤٧٤م، أُتي بها إلى إسطنبول.

ثم قام المستشرق والمؤرخ النمساوي الشهير جوزيف فون هامر-بورغشتال (١٧٧٤م – ١٨٥٦م) بجلب النسخة إلى فيينا ووضعها في المتحف الملكي، حيث ظلت محفوظة هناك.

في عام ١٨٢٣م، قام المستشرق الفرنسي زابيري تومبيدي بتسليط الضوء على الكتاب، حيث قدَّم نبذةً موجزةً عنه، مما ساعد في بدء انتشاره بين الباحثين.

وظلَّ الكتاب غير مُترجم لفترة طويلة حتى عام ١٨٧٠م، حين قام المؤرخ والمستشرق المجري الشهير أرمينيوس فامبيري، صاحب كتاب «تاريخ بخارى»، بترجمة قسم مهم من «قوتادغو بيلك» إلى اللغة الألمانية (النمساوية). كما ساهم العالم الروسي رادلوف بترجمة جزء من الكتاب أيضًا، مما ساعد في نشره بشكل أوسع في الأوساط العلمية. وأتاح للباحثين والجمهور فرصة الاطلاع عليه بلغته الأصلية، الأويغورية القديمة[١].

٢. نسخة القاهرة:

تمت كتابة هذه النسخة باستخدام الأحرف العربية، وتم اكتشافها على يد

[1] ئەھمەد زىيائى، تارىخى مىراس قۇتادغۇ بىلىك توغرىسىدا مۇھاكىمە ۋە بايان. 42. يۈسۈپ خاس ھاجىپ، قۇتادغۇ بىلىك (نەسرى يەشمىسى)، س: 3.

العالم النمساوي من أصل ألماني برنارد موريتز[١] (١٨٥٩م - ١٩٣٨م). ترأس موريتز إدارة «هيئة الكتب والوثائق الخديوية في القاهرة» في القاهرة بين عامي ١٨٩٦ و١٩١٤م، وكان له دور كبير في نشر العديد من الكتب الهامة مثل «تاريخ الفيوم» لابن عثمان النابلسي و«جغرافية الجزيرة العربية الطبيعية والتاريخية».

قام موريتز بنسخ هذا المخطوط النادر وأرسله إلى العالم الروسي الشهير فاسيلي رادلوف. حصل رادلوف على نسخة من نسخة فيينا المكتوبة بالأحرف الأويغورية القديمة، وأجرى مقارنة دقيقة بين النسختين المختلفتين في أسلوب الكتابة، حيث كانت نسخة القاهرة مكتوبة بالأحرف العربية، ونسخة فيينا بالأحرف الأويغورية. هذه المقارنة تمت في عام ١٨٩٧م.

في عام ١٩١٠م، نشر رادلوف النسختين معًا في مجلد واحد، مما ساهم في انتشار الكتاب بشكل أوسع. وفي عام ١٩٤٣م، تم جلب نسخة من نسخة القاهرة إلى إسطنبول، حيث تم طباعتها بالأحرف العربية، مما أدَّى إلى زيادة شهرة وانتشار الكتاب في الأوساط العلمية والأدبية[٢].

٣. نسخة فرغانة:

هي نسخة مكتوبة بالأحرف العربية، لكنها تختلف عن نسخة القاهرة. تم اكتشافها لأول مرة من قبل الأستاذ زكي وليدي طوغان التتاري في مكتبة شخصية تعود لحاجي نيشان في مدينة نمنغان في أوزبكستان عام ١٩١٤م.

---

[١] مستشرق ألماني، وصار في ١٨٩٦ مديرًا لدار الكتب المصرية بالقاهرة، واستخرج من مخطوطاتها ١٨٨ لوحة فوتوغرافية تمثل مختلف الخطوط وأصدرها في مجلد بعنوان الخطوط العربية ١٩٠٦. تجول في العالم العربي كله من العراق حتى مراكش. واهتم بالجغرافيا التاريخية. عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ص ٥٧٥. أيمن فؤاد سيد أحمد، دار الكتب المصرية تاريخها وتطويرها، أوراق شرقية للطباعة والنشر، ١٩٩٦، ص: ٢٦.

[2] ئەھمەد زىيائى، تارىخى مىراس قۇتادغۇ بىلىك توغرىسىدا مۇھاكىمە ۋە بايان. 42. يۇسۇپ خاس ھاجىپ، قۇتادغۇ بىلىك (نەسرى يەشمىسى)، س: 3.

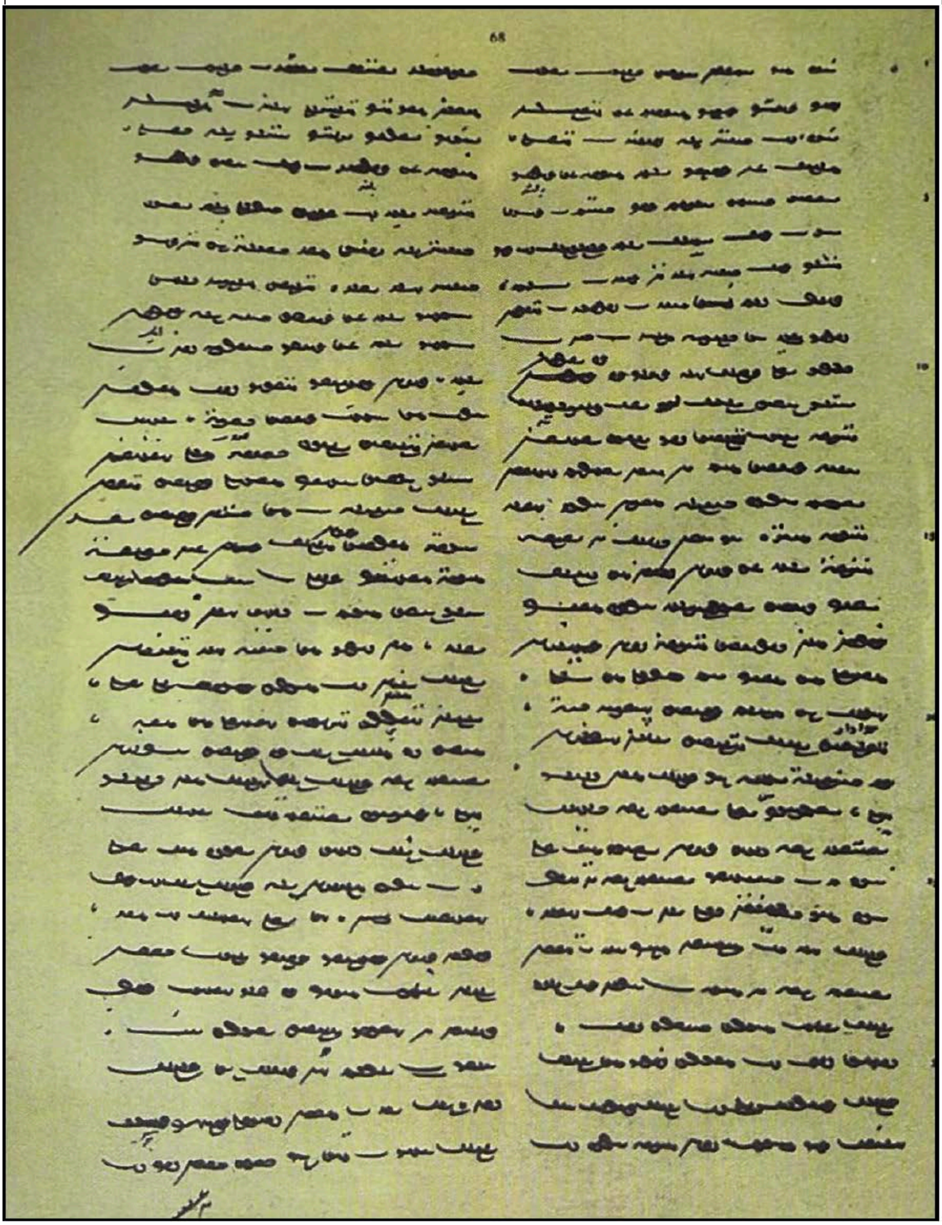
بعد اكتشافها، كتب زكي وليدي عن هذا الحدث في الصحف التركية، إلا أن الكتاب ظل غائبًا عن الأوساط العلمية لعقد كامل. في عام ١٩٢٤م، حصل الأديب الأوزبكي فترت أفندي على هذه النسخة، وقام بنشر فقرات الكتاب مع الشرح والتوضيح في عام ١٩٢٨م.

تختلف النسخ الثلاثة (القاهرة، فرغانة، فيينا) في عدد الأبيات. نسخة القاهرة تحتوي على ٥٤٠٠ بيت، بينما تحتوي نسخة فرغانة على ٦٠٩٥ بيتًا، وتُعد نسخة فيينا الأقل بين النسخ الثلاث. كما وجدت بعض السقطات الإملائية وعدم الدقة في النسخ الثلاث، نتيجة لعدم التدقيق الجيد من قِبل الوراقين.

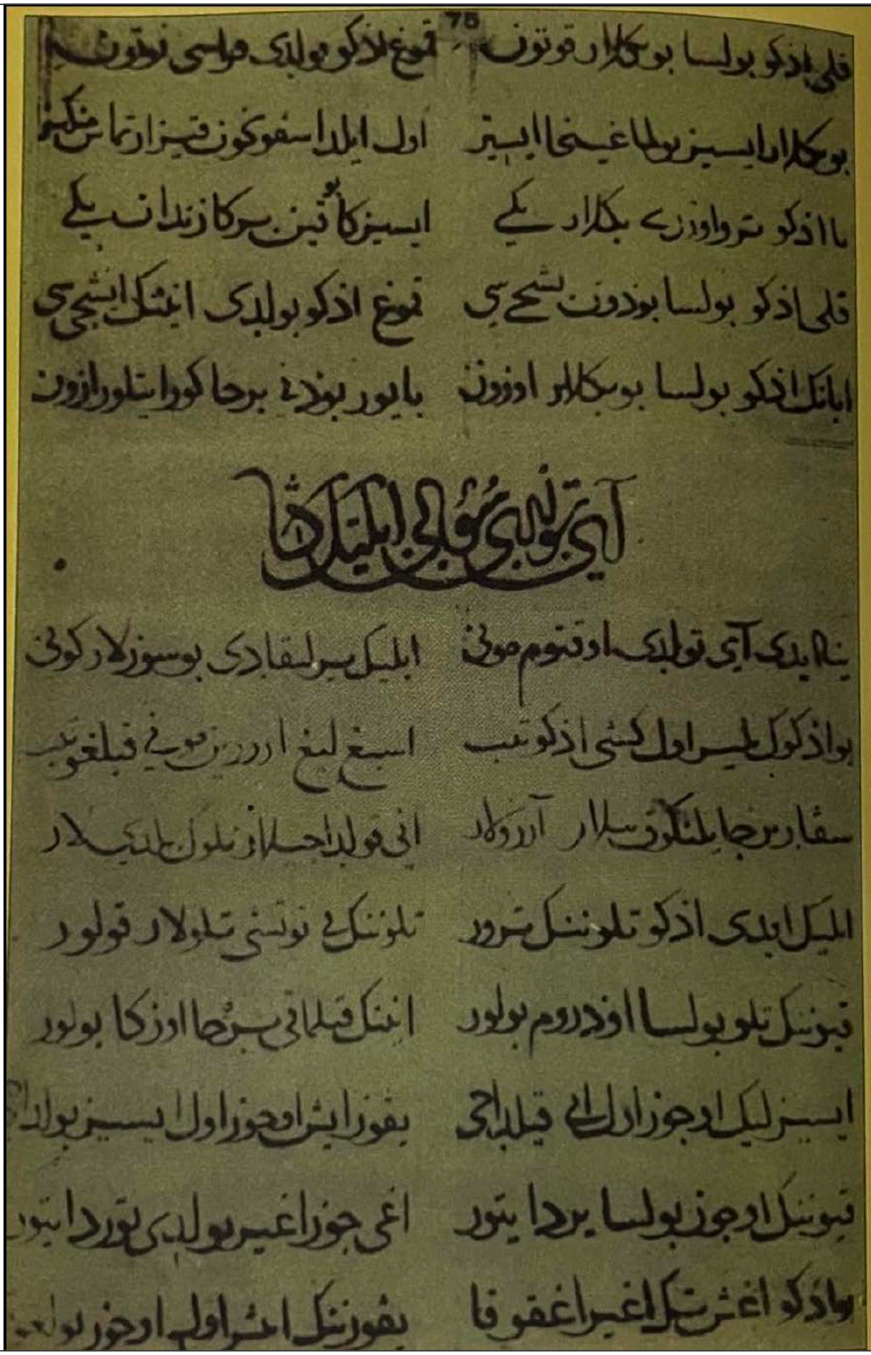
ذكر مورتيز أن هذا الشكل من الخط العربي كان مستخدمًا في إيران خلال القرنين السادس والسابع الهجريين، واستُخدم كذلك في العصر الأيوبي في مصر وسوريا. ويُعتقد أن نسخة فرغانة قد كُتبت قبل النسخة المصرية (نسخة القاهرة)، ربما في القرن السابع الهجري. وبناءً على بعض الاختلافات في نقوش الصفحة الأولى والزخارف المذهبة، يعتقد بعض الباحثين أن هذه النسخة تنتمي إلى فترة ازدهار الإمارة القَرَخانية. باستثناء صفحة أو صفحتين مفقودتين، فإن نسخة فرغانة تعتبر أجود النسخ في الكمال.

٣,١٦. نماذج من نسخ الكتاب:

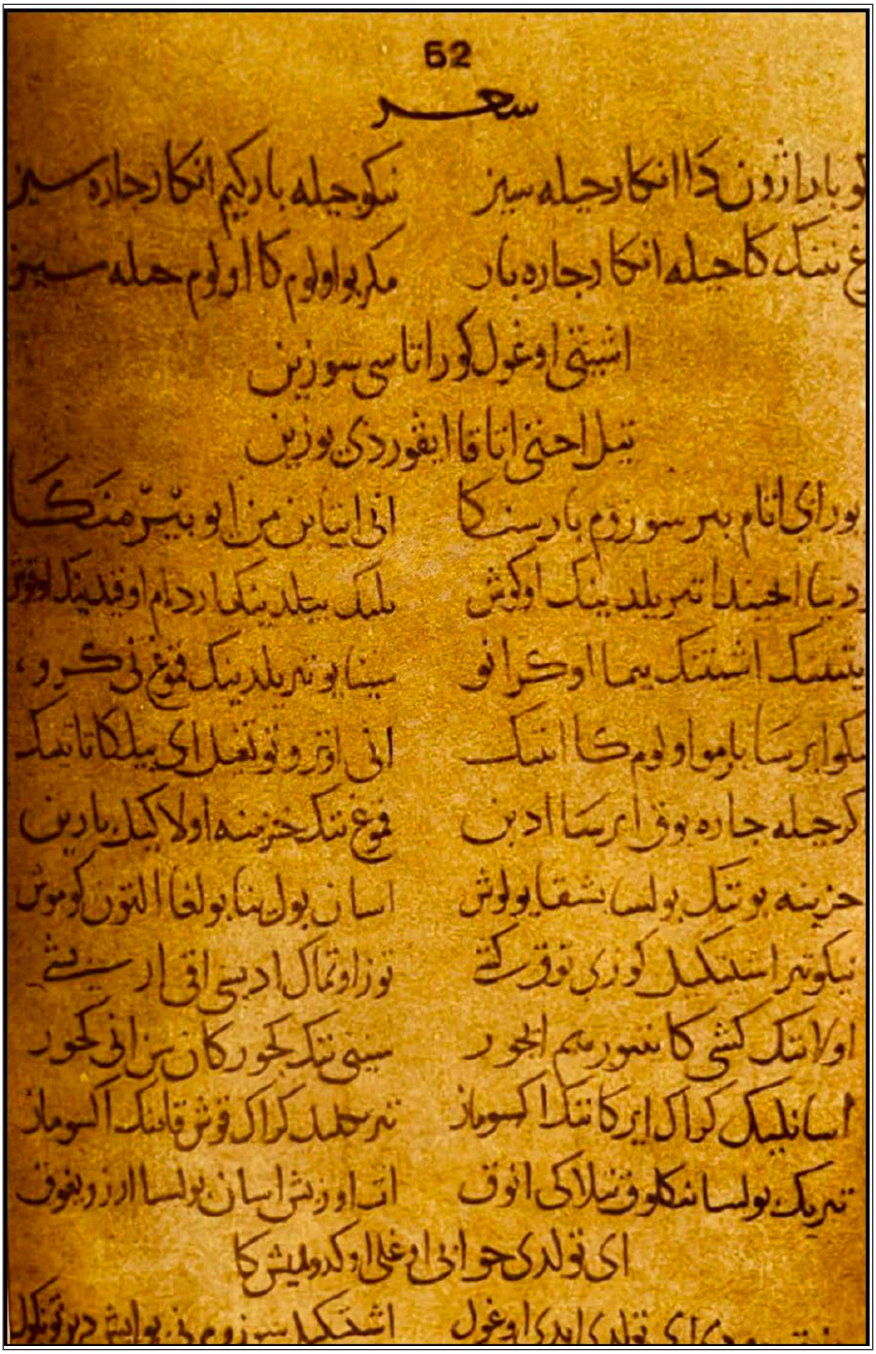
نسخة مصورة من نسخة فينا، وهي مكتوبة بالحروف الأويغورية القديمة



صورة مصورة لنسخة فرغانة أو هرات



صورة مصورة لنسخة القاهرة


52

شعر

الفصل الرابع

أراء الوزير القَرَخاني الحاجب يوسف في قوتادغو بيلك

1,1. قوتادغو بيليك والأدب التركي
1,2. قوتادغو بيليك وعلم الاجتماع
1,3. رؤيته في طبقات الاجتماعية
1,4. رؤيته في المجموعات الاجتماعية والاقتصاد المالي
1,5. رؤيته في الاقتصاد
1,6. رؤيته في الدولة
1,7. رؤيته في التدابير العسكرية
1,8. رؤيته في اللغة والتفكير
1,9. رؤيته في الحقيقة والسفسطة
1,10. رؤيته في بناء الأسرة
1,11. رؤيته الحضارية
1,12. قوتادغو بيليك والبيان والبديع
1,13. الحاجب يوسف والتصوف
1,14. الأخلاق وقوتادغو بيلك

الفصل الرابع: رؤية الوزير القَرَخاني الحاجب يوسف في قوتادغو بيلك

٤،١. قوتادغو بيليك والأدب التركي:

يعتبر «قوتادغو بيلك» من أبرز الأعمال الأدبية التركية الإسلامية، وهو تتويج للمرحلة الأولى من تطور الأدب الإقليمي التركي. يتميز العمل بميزتين بارزتين:

أولاً: ازدهار الأدب التركي تحت رعاية الحكام والقادة:

كما ازدهر الأدب العربي في كنف الخلفاء العباسيين والأدب الفارسي في ظل السامانيين والغزنويين، فإن البلاط القراخاني شهد ولادة «قوتادغو بيلك» كواحد من أعظم الأعمال الأدبية التركية. كان هذا الأدب تحت رعاية حكام القراخانيين الذين استخدموا الشعر والأدب كوسيلة لتوجيه الطبقات الحاكمة نحو القيم الإسلامية والعدالة في الحكم. هذا الدعم الذي قدمته النخب الحاكمة للأدب جعل «قوتادغو بيلك» عملاً ذا تأثير قوي، حيث يجمع بين القيم الروحية والأخلاقية وبين الحكمة السياسية.

ثانياً: سمة التنوير والإيمان بالعقل:

تميز «قوتادغو بيلك» بالدعوة إلى المعرفة والعقل كأدوات أساسية لتحقيق العدالة الاجتماعية. كانت الكتابات تستهدف الحكام والنبلاء، وترشدهم إلى الطريق الصحيح في حكم البلاد عبر القيم الأخلاقية والقوانين العادلة. كما ركَّز الكتاب على أهمية العقل والفكر في تعزيز الأخلاق الفاضلة وإدارة شؤون الدولة. هذه الفلسفة التنويرية، التي تربط بين الدين والعقل، جعلت الكتاب أداة

تعليمية للحكام لتبني نهج الحكم القائم على التفكير الرشيد والعدالة.

في هذا الإطار، كان «قوتادغو بيلك» يسعى إلى إرساء مبادئ الحكم العادل، مع التركيز على أهمية الحكمة والبصيرة في اتخاذ القرارات. هذه القيم التي تناولها الحاجب يوسف في كتابه لم تكن مجرد مفاهيم أخلاقية، بل أدوات عملية تهدف إلى تحسين إدارة الدولة وتوجيه الحكام نحو التصرف وفقًا للعدالة والإنصاف.

من خلال هذا الكتاب، فتح الأدب التركي، بل الحاجب يوسف نافذةً نحو الأدب العالمي، حيث بدأ الأدب التركي الإسلامي يشق طريقه لينضم إلى ركب الأدب العالمي. فقد قدّم الكتاب صورة عن إمكانية تحقيق التوازن بين المبادئ الإسلامية والواقع السياسي والاجتماعي، مما سمح للأدب التركي بالانتقال من الإطار المحلي إلى الأفق الأوسع.

فيعد «قوتادغو بيلك» كان بداية لظهور الأدب التركي على الساحة العالمية، حيث لم يقتصر على كونه عملًا أدبيًا، بل كان وثيقة سياسية وفلسفية تعكس رؤية متكاملة للحكم الرشيد، مما جعله يُحتذى به في الأدب التركي والإسلامي والعالمي.

وهكذا، بات «قوتادغو بيلك» نقطة انطلاق تُبرز قدرة الأدب التركي على المزج بين التراث الفكري الإسلامي والتطلعات الأدبية العالمية، ليكون أحد الأعمال التي أضاءت طريق الأدب التركي نحو مكانة مرموقة في المشهد الأدبي العالمي.

٤،٢. قوتادغو بيليك وعلم الاجتماع:

قدَّم المؤلف في كتابه رؤية متقدمة للعلاقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في زمن القراخانيين، وقدَّم وصفًا دقيقًا للعناصر التي تشكل البنية

الاجتماعية للدولة. ومن هنا يُعتبر كتاب «قوتادغو بيلك» عملًا رياديًا ليس فقط في الأدب، بل في مجالات علم الاجتماع والسياسة وفلسفة الحياة. فتمكن الحاجب يوسف من تقديم رؤية شاملة تسبق بعمقها ما قدمه المفكرون اللاحقون مثل ابن خلدون، حيث ركَّز على العلاقة بين الحاكم والمحكوم في إطار أخلاقيات إسلامية، وأوضح أن العدالة والحكمة هما الأساس في بناء مجتمع مستقر ومزدهر.

تجلى التميز في «قوتادغو بيلك» في اعتماده على القيم الإسلامية كمنهج شامل للحياة، يجمع بين العقيدة والعبادة والسلوك اليومي، ويؤكد على أهمية العقل والتدبير الرشيد في قيادة الأمة.

ورفض الكتاب التعامل مع المواضيع السطحية مثل الغزل والحب، بل ركَّز بدلاً من ذلك على القضايا الأساسية التي تمس الدولة والمجتمع، مثل العدالة الاجتماعية وأهمية الحكمة في اتخاذ القرارات.

من خلال مراقبة دقيقة للمجتمع الذي عاش فيه، استطاع الوزير يوسف أن يقدم تحليلًا اجتماعيًا عميقًا، مما جعله يضع أسسًا لعلم الاجتماع بطريقة مميزة. فأصبح «قوتادغو بيلك» مرجعًا للحكام في كيفية إدارة الدولة وفق قيم الإسلام، وأيضًا مرجعًا اجتماعيًا وفلسفيًا يعالج كافة جوانب الحياة، مما جعله عملًا متكاملًا في مختلف الحقول الفكرية.

فنورد نماذج عديدة لأطروحته الاجتماعية في كتابه:

١ – يقدم الحاجب يوسف تفاصيل دقيقة حول الهيكل الاجتماعي والحقوق المتبادلة بين الحاكم والرعية في ذلك الوقت[١]، ويقول:

---

[١] (مقطع: ٥٥٧٤، وآخرون):

٥٥٧٤- تفرض القانون على الخلق سوى
تسلم من الضلة في الحقوق سوى

٥٥٧٥- تأمن الخلق في المدن والقرى
أمانا في الطرق والأرياف كما

٥٥٧٦- تقطع دابر الإرهاب والنهب
أمانا من السرقة كما من سلب

٥٥٧٧- بعد أن تعطي حقوق الأمة
تطلب أنت منهم إطاعة الأمة

٥٥٧٨- على الرعية لك حقوق ثلاث
تسألها عنهم تفرش الأثاث

٥٥٧٩- أولها فرمانكم الفرمان يجعل أمرا
إن كان في الأمر ينفذ أمرا

٥٥٨٠- ثانيها حق الخزينة الإتاوات
يعطون حق الخزينة الإتاوات

٥٥٨١- ثالثها إقدامهم في الوغى طوعا
يجعلوا صديقكم صديقا تباعا

٥٥٨٢- إن كذا أديتهم حقا عليكم
وإنهم أعطوا حقوقا لك عليهم

٥٥٨٣- الأمارة والأمير هذا أسلوبهم
الأمة الرعية هذه سجيتهم

٥٥٨٤- في هذه التقدير قد يزيد قدرهم
بهذه الأسلوب أميرهم سعدهم

٥٥٨٥- يا إليك دولتك بهذه الخصال
وسعادتك في الدارين إقبال

٥٥٨٦- ثم العلوم لأهل العلم ينشرها الآن
بخلوص النية يتعلمونها الشبان

٥٥٨٧- ثم لجنة الاحتساب ينشط الأمة
فشلة الفساد من الخلق ضجة

٥٥٨٨- ثم ذا التجار يحسن أماناتهم
أهل الحرف ينشط تلاميذهم

٥٥٨٩- الدهقنة يخلصون في زراعاتهم
كذلك أهل الغنم يربوا أغنامهم

٥٥٩٠- بقي الان خدام لكم فداء
استعد بهم بالعدد عدة للوغى

٥٥٩١- أحسن إليهم بالمال والعتاد
بخر أقدامهم بالعطر والعفار

٥٥٩٢- حسب الخدمة احسبهم ثرى
أعل قدرهم يرفلون بالغنى

٥٥٩٣- للوغى وعلى الذئاب تستعد بهم
تعادي العدا وصادق سعدهم

٥٥٩٤- بهذه تصفى جميع أهلكم
تصفى صفوة يستقيم أمركم

٥٥٩٥- لكي سعادة دنيا وأخرى
تكن مع الله تستريح بالقرى

٥٥٩٦- العدل العدل بالعدل تحكم
بهذه العدالة يحبون شخصكم

٥٥٩٧- الله يحبك لأجل العدالة
ينشل خلقكم وأنتم من الرذالة

٥٥٩٨- استمع قولا من قلبه وضوح
لأجل العدالة قوله مسموح

٥٥٩٩- لاستقامة الرزق يحيط الأرض
ولأجل الثبات تنبت الأرض

٥٦٠٠- لا تهتز كمان اثبت مستقيم
بالعدل تثبت الدارين تقيم

٥٦٠١- يا إليك مولاي هذا كلامي
بالتمام الختام عليكم سلامي

٥٦٠٢- في كلا الدارين كلامي مستقيم
قلت لكم كأنه شيطان الرجيم

٥٦٠٣- تبقى هذه الدنيا وجميع مباهجها
لك الاسم شهرة يبقى صداه

من خلال هذه الرؤية، نرى أن الكتاب يعكس فلسفة الحكم العادلة وفقًا لمبادئ الإسلام. فهو يشرح الحقوق الأساسية التي يجب أن يحصل عليها الشعب من الحاكم على النحو التالي:

١. حماية المال والثروات في البلاد، وهو ما يشير إلى حماية الاقتصاد والموارد.

٢. الحكم بقوانين عادلة ومنصفة، مما يعزز الاستقرار والرضا بين المواطنين.

٣. ضمان الأمان والسلامة في الطرقات والقضاء على قطاع الطرق وكل من يهدد النظام العام.

على الجانب الآخر، يحدد الكتاب أيضًا حقوق الحاكم على رعيته:

١. احترام أوامره وتنفيذها بشكل فوري ودون تردد.

٢. حماية حقوق الخزانة، وهو ما يعني دفع الضرائب في وقتها وضمان عدم إهدار المال العام.

٣. الولاء للحاكم، والذي يتجلى في أن يكون الشعب صديقًا لأصدقاء الحاكم وعدوًا لأعدائه، مما يعزز الوحدة والتماسك داخل الدولة.

تظهر هذه الحقوق المتبادلة مدى التوازن بين السلطة والمسؤولية في الفكر السياسي التركي الإسلامي، كما تعكس فلسفة الحكم العادل التي كانت تهدف إلى تحقيق استقرار الدولة وتوفير الأمان والرفاهية لشعبها.

٢- يقدم الحاجب يوسف فهمًا كلاسيكيًا لفلسفة الدولة، حيث يشير إلى أن القوة المالية للدولة (الخزانة)، والقوة العسكرية (الجيش)، وآلية العدالة، تلعب دورًا محوريًا في

الحفـاظ علـى النظـام وموافقـة الشـعب. هـذه الفلسـفة تنعكـس فـي التقليـد القديـم الـذي يضـع العدالـة كأسـاس للحكـم المسـتقر.

٣- فـي حديث أوغدولمـش مـع الحاكـم، يوضـح يوسـف حاجـب أن الحاكـم يحتـاج إلـى ثـروة وقـوة عسـكرية كبيـرة للسـيطرة علـى الدولـة. ويشـير إلـى أن الجيـش يحتـاج إلـى المـوارد لدعـم جنـوده، وهـذه المـوارد تأتـي مـن غنـى الشـعب. ولكـي يصبـح الشـعب غنيًـا، يجـب وضـع القوانيـن الصحيحة التـي تنظـم المجتمـع وتحمـي حقوقـه.

المقطع الشعري (بيت: ٢٠٥٦-٢٠٥٩) يلخص هذا المبدأ:

٢٠٥٩- قائد الجيش يجب جسورا
عند الوغى إمامهم حصورا

٢٠٦٠- ذو قلوب ليرأسن الضعافا
يكن جيوشه أشاوسًا ضرغاما

٢٠٦١- فلتسمعن حكيمنا حيث يقول
إذا الأسد ترأس اكلب يصول

٢٠٦٢- إن عاكس الوضع إذا انقلب
تكأكأت سيوفهم مثل أحطب

٢٠٦٣- يجب أن يكون المك خلوقا
وكذا القائد أن يكون شفوقا

٢٠٦٤- يحمى الملك أدائهم أخلاقهم
وهيبته بالسخاء أفعلهم

٢٠٦٥- وشهرة السخاوة تحميهم
تمسك الرعية بركة تجميعهم

٢٠٦٦- أيه القائد اضرب الأعداء
خذ منهم أمولهم أعط الفقراء

٢٠٦٧- استمع يا قائدي ركنًا حصينا
خذ من أموالهم أعط إحسانا

٢٠٥٣- أعط العطايا ودعهم يأكلوا
إذا وأنت تأخذ تأك

٢٠٦٨- إذا كنت غيورًا وبعد النظر
ما نقص مال ولو راح هدر

٢٠٦٩- أكان سيف وعدة من ربط اخيل
عدة دون مال في النهار والليل

٢٠٧٠- كن شجاعا فطنا تقبض خزين
عده حسب الاستطاع فلا يك حزين

٢٠٧١- إن ترم تمسك زماماك يستعد
لا تنس مالاً تحب أن تستعد

٢٠٧٢- يا لك إن كنت تأس ذا الأمم
لا تغفلن عن ثلاث لا تنعدم

٢٠٧٣- إن كنت تشغل يمنك بسيف
أذل يسارا كريما لضيف

٢٠٧٤- إن كان قولك لذيذ الشكر
يخضعك عن صغير وكبير

٢٠٧٥- يا إلك يجب كذا للسلطة
ترفع القدر بهم لسؤدد

٢٠٧٦- وجه صبوح قول لذيذ طعم كما
يجب عليك خلق رفع قد السماء

٢٠٧٧- تواضع القلب يواكب قدرها
رحيم حليم رءوف يراعا

٢٠٧٨- إن كنت فيهم بهذا القدر
لا تعدم منهم وفيكم قذر

٢٠٧٩- يقولون عنك مثل البدر
ولكن كمال عدم ابذر

٢٠٨٠- جمع الأمم لك قد يخضعوا
بما تأمر أنت وهم يفعلوا

٢٠٨١- إن كنت فظًّا غليظ القلب
فأنت حزين وخلق طئيب

٢٠٨٢- إن كنت تبخل لمن عندكم
بهرت ويبعد بمن عندكم

٢٠٨٣- إن كان خلق بعد خلق
تحاسب نفسك بحسن الخلق

٢٠٨٤- بد أسود ملوك بياض
أعجب لهذه الفروق الحفاظ

٢٠٨٥- إن كنت ترجى مكانا يليق
تكمل بخلق رفيع شفيق

٢٠٨٦- إن كان ملكا بياضا وقلبه سواد
فقل إنه أسود الخلق من سواد

٤- وعرض الوزير الحاجب يوسف رؤيته عن تركيبة المجتمع، متناولًا وجهات نظره حول مختلف المجموعات الاجتماعية، وخصوصًا عامة الناس. في نصيحة أوغدولميش إلى أودغورميش، يعبر يوسف عن شكوكه تجاه الطبيعة العفوية والفجة لعامة الناس، مشيرًا إلى أن تصرفاتهم تحكمها مصالحهم البسيطة، مثل السعي وراء الطعام والعيش. هذا النص يبرز الفهم التقليدي لتلك الفترة والذي يفرق بين طبقات المجتمع وفقًا لمفاهيم الولاء، المعرفة، والتصرف.

الحاجب يوسف يرى أن عامة الناس لا يهتمون بالقضايا الكبرى أو المبادئ، بل يركزون على تلبية احتياجاتهم اليومية. ومن هنا تأتي نصيحته:

التعامل الجيد مع عامة الناس ضروري، لكن الابتعاد عن الصداقة الحميمة معهم هو الأفضل، لأنهم يميلون إلى التصرف بفجاجة إذا لم يتم ضبطهم .

ويوضح أن عامة الناس يركزون على ملء بطونهم ولا يهتمون بالأمور الأخرى، وإذا شعروا بالشبع قد يبدأون في المجادلة وطرح آرائهم، وهي سلوكيات غير مرغوب فيها في نظره.

المقطع الشعري التالي (بيت: ٤٣٢٠-٤٣٢٩) يعكس هذه الرؤية:

٤٣٢٠- عوام الناس قطيع الغنم
نجاح التعامل معهم محترم

٤٣٢١- لا خلاق بكلهم سواسية
تنضم معهم يرفضه الساسة

٤٣٢٢- ولكن بدونهم لا شيء يصير
سلب كلهم إيجابه يسير

٤٣٢٣- إذا رمت قصدا نفذ بالقرار
ثم ابتعد عنهم ولو بالفرار

٤٣٢٤- ككتلة الخيط عديم الطرف
لهو ولعب ودف طرب

٤٣٢٥- عيش وأكال بطنه امتلأ
لا شيء يصلح يواجه ملأ

٤٣٢٦- من لم يزل دربه يستقيم
قال في العوام خلق يستنام

٤٣٢٦- لا يعرف الشيء غير بطنهم
غم همهم لقمة حلقهم

٤٣٢٧- يسلب ينهب يعش قصدهم
لا خوف عندهم من نار جهنم

٤٣٢٨ – إذا شبع بطنه يفوه الكلم
إن لم تحترس يحرش بالحاكم

٤٣٢٩ – خالط بينهم صديقي الزاهد
أعطهم عطاء أكال الزايد

٤٣٣٠ – كلمهم طيب أعطهم طُلبَتَهم
اتركهم بالراحة تحفظ ودهم

٤٣٣١ – بقلة الكلام كن كثير السلام
بكثرة الكلام تفقد احترام

٤٣٣٢ – ماذا يقول حكيمنا النحرير
أمسك لسانك قيد التحرير

٤٣٣٣ – لا تكثرن مجرد الكلام
أكثر الذكر وأفش السلام

٤٣٣٤ – رأيت عاقلاً مقل الكلام
وضده مكثر رأيت يندام

هذا التوصيف يعكس رؤيته للحياة الاجتماعية والسياسية، حيث يتم تصنيف الناس وفقًا لقدراتهم وأدوارهم في المجتمع، مع التأكيد على أهمية ضبط عامة الناس وإدارتهم بحكمة دون الإفراط في العلاقات الشخصية معهم.

فالتمييز بين «الخواص» و»العوام» في «قوتادغو بيلك» هو أمر ملفت للنظر، حيث يعبر الحاجب يوسف عن فكرته بأن عامة الناس، الذين يمثلون الطبقات الدنيا من المجتمع، يركزون بشكل أساسي على كسب العيش ولا يهتمون بالتقاليد أو الاحتفالات الرسمية وقواعد الأدب الرفيع التي تطبق على الطبقات

العليا. ويرى أن العلاقة الحميمة المفرطة مع عامة الناس ليست مستحسنة ؛ لأنهم يميلون إلى التجاوزات إذا لم يُضبطوا، على الرغم من أن المجتمع لا يمكن أن يعمل بدونهم.

وفقًا لهذا المنظور، فإن الازدهار الاقتصادي يؤدي إلى توجه عامة الناس نحو القضايا الثانوية أو غير المرغوب فيها، مثل النقاشات التي لا تعود بالنفع على المجتمع أو الدولة. هذا الفهم ليس خاصًا بالحاجب يوسف وحده ؛ إذ يظهر هذا النوع من التفكير في العديد من الكتب السياسية في التراث الإسلامي. الفكرة العامة هنا هي أن الرفاهية الزائدة أو الترف يمكن أن تخلق مشاكل في المجتمع من خلال تعزيز التفكير في الأمور التافهة أو توليد نقاشات غير مجدية.

مثال آخر على هذا الفكر التقليدي يمكن رؤيته في رأي لطفي باشا، أحد وزراء سليمان القانوني، الذي يؤكِّد على أن عامة الناس قد يحققون ثروات كبيرة، ولكن لا ينبغي السماح لهم بأن يتصرفوا أو يرتدوا مثل الجنود من طبقة السباهي (الفرسان العثمانيين). كان هذا تمييزًا اجتماعيًا صارمًا يعكس الفهم الطبقي في تلك الفترات، حيث تم تقييد العامة من الوصول إلى مظاهر السلطة أو المكانة التي يحتفظ بها الطبقات الحاكمة.

٥- ويقدم الحاجب يوسف في كتابه «قوتادغو بيلك» رؤية متكاملة للمجتمع عبر تقسيمه إلى شرائح ومجموعات متعددة، حيث يتم توجيه الكلمات الإيجابية إلى الحرفيين والمزارعين ومربي الحيوانات، في مقابل ما يظهر من تحذيرات تجاه عامة الناس.

٦- التمييز بين شرائح المجتمع: يميز الحاجب يوسف بين الطبقات على أسس اقتصادية ووظيفية:

- العوام (الحرفيين والمزارعين ومربي الحيوانات): هؤلاء يتم

تقديرهم بشكل إيجابي، حيث يمثلون العمود الفقري للاقتصاد والمجتمع، ويُنظر إليهم كمساهمين مهمين في استقرار الدولة واستمرارها.

- العامة (الطبقات الدنيا أو غير المتعلمة): ينظر إليهم بريبة واحتراز، حيث يتم توجيه الحذر من تمردهم أو تدخلهم في شؤون الدولة والسياسة. ويرى أن هناك ضرورة لضبطهم، وأنهم يركزون فقط على كسب العيش وليس لديهم اهتمام بالأمور الأخلاقية أو السياسية العليا.
- دور الدولة في مساعدة الفئات المنتجة: رغم النقد الموجه لعامة الناس، يؤكد يوسف على ضرورة أن تُولي الدولة اهتمامًا ورعاية خاصة للفئات المنتجة مثل الحرفيين والمزارعين. إذ ينصح أن يساعد مسؤولو الدولة هؤلاء الأشخاص في أوقات الحاجة أو الفقر، وأن يقدموا لهم الدعم اللازم للحفاظ على الإنتاج الاجتماعي والاقتصادي. هذه الرؤية تستند إلى مفهوم التكافل الاجتماعي، حيث تعتمد كل مجموعة على الأخرى للحفاظ على التوازن الاجتماعي.

٧- التركيز على الوظائف الاجتماعية: يرى يوسف أن المجتمع لا يُبنى فقط على التقسيم الطبقي أو الفقر والغنى، بل يعتمد بشكل أكبر على الدور الوظيفي لكل فرد أو فئة. لكل شخص أو مجموعة دور محدد في بناء المجتمع، وهذا ما يجعله يقيّم الناس ليس فقط بناءً على ثرواتهم، بل أيضًا بناءً على مساهمتهم في النظام العام. الفئات المنتجة تمثل ركيزة مهمة لدعم استقرار المجتمع من خلال العمل والتضامن الاجتماعي.

٨- أهمية التعاون والتضامن: في فكر الوزير يوسف، يظهر واضحًا مفهوم التضامن الاجتماعي بين مختلف شرائح المجتمع. كل فئة تعتمد على الأخرى، ويجب أن يكون هناك تعاون مستمر بين أفراد المجتمع لضمان استقراره وازدهاره. هذه الفكرة تنسجم مع التصور الإسلامي الذي يركز على العدالة والمساواة والمساعدة المتبادلة بين الفئات.

٩- يتناول الحاجب يوسف مسألة مهمة تتعلق بالعزلة الفردية من خلال شخصية أوغدولمش الذي يعبر عن اعتراضاته على أودجورميش، الزاهد الذي يفضل الانسحاب من المجتمع. تتجلى أفكار يوسف من خلال هذه المناظرة، حيث يشدد على أهمية التفاعل الاجتماعي والنفعية الجماعية بدلاً من الأنانية الفردية.

١٠- الوزير يوسف خاص حاجب، من خلال عمله «قوتادغو بليك»، أبرز أهمية العقل والمعرفة والعدالة كقيم أساسية لضمان استقرار المجتمع وازدهاره.

٤,٣. رؤيته في طبقات الاجتماعية:

عرض الحاجب يوسف في قوتادغو بيليك، تصنيفًا اجتماعيًا دقيقًا يعكس فهمه للطبقات الاجتماعية والمهنية في زمنه، حيث صنَّف المجتمع إلى ثلاث طبقات: الغنية، والوسطى، والفقيرة، بناءً على مستوى امتلاك الموارد المادية. ويمثل هذا التقسيم رؤية متقدمة للتوزيع العادل والمسؤول للموارد والثروات، بحيث لا تُثقل كاهل الطبقة الفقيرة بأعباء لا تتناسب مع قدراتها.

ينادي الحاجب يوسف بأن تتبنى السياسة الاقتصادية للدولة توجيهات

واضحة تراعي اختلاف الطبقات، وأن يُراعي في فرض الضرائب حجم الموارد التي يمتلكها كل فرد أو طبقة. فهو يرى أن فرض معاملة متساوية في الضرائب أو العمل على مختلف الطبقات بدون مراعاة قدرات الفقراء قد يؤدي إلى إجبارهم على بذل مجهود يفوق طاقاتهم، مما قد يولد ضغطًا اجتماعيًا واقتصاديًا يُضعف المجتمع، بحيث قد تؤدي في النهاية إلى زعزعة استقرار المجتمع.

هذه الرؤية تمثل إحدى صور العدل الاجتماعي، حيث تُحافظ الدولة على حقوق المواطنين وتُوزع أعباء الميزانية الوطنية بتوازن، بدلًا من إنفاقها بشكل غير منصف، بحيث تُخصص للفقراء ما يعينهم دون إرهاقهم، وتحمي مصالحهم من الظلم والاستغلال؛ لأن حماية الفقراء وعدم استغلالهم هو ركن أساسي في الحفاظ على تماسك المجتمع واستقراره، وهو يقول في هذا الموضوع:

٥٥٦٠- في هناك بفرقة ثلاثة
لا تظلموا واعدل بهم سياسة

٥٥٦١- أولهم أثرياء ذو النفوذ
شجاعة بسالة فيهم نفوذ

٥٥٦٢- ثم الوسط في الاجتماع فدورهم
دور أقل من أثرياء تقدر لهم

٥٥٦٣- ثم الفقراء والمعدمون ضعفاء
ارفع همم من أجلهم ابذل عطاء

٥٥٦٤- أهل الثراء لا ينزلن أهل الوسط
لا يحملن حملتهم حفظا للوسط

٥٥٦٥- كذا الوسط لا ينزلن لدى الفقير
لا ينزلن من العيون إلى الحقير

٥٥٦٦- أما الفقير إذا دعم مالا يسير
ليعيش في حالهم أحسن يسير

٥٥٦٧- إن فقيرا زاد من دخله غدا
كالوسط ليعلن من كلهم أمر الفدى

٥٥٦٨- إذا استوى الخلق بذا بيسرهم
تسعد بهم من دعائهم وسرهم

٥٥٦٩- استمع ما قاله أمير (أوج أوردو)
تغادر الدنيا وتبقى شهرته

٥٥٧٠- من بقي له شهرة الاسم وجاه
يغمر الدنيا ثناء وله كل الدعاء

٥٥٧١- من ينال الخير من دعاء خَيّر
بعد موته قد وُلد باسم نيِّر

٥٥٧٢- إن كنت أنت في العلا أو تحت الثرى
تكسب الاسم المنور فدهم اكتفى

٥٥٧٣- يطلب المرء اسما ذو شهرة
لو عاش ما عاش أو تحت الثرى

٥٥٧٤- عليك للأمة حقوق ثلاث
إذا أديتها قد رسيت الأساس

٥٥٧٥- أولها الثرى في الخلق يفشي يغتني
تعرف المعيار في الذهب حتى تقتني

وكذلك يقول:

٤٤٦٩- شلة الفقر والمسكين أعطهم
من كل كدر وبلاء وبرد احمهم

٤٤٧٠- دعاؤهم كدماء العرق ينفذه
أعط الزكاة والصدقات يحميهم

٤٤٧١- لا ترجون منهم قط رد جميل
دعاؤهم يؤدي إلى الجنة لباريهم

٤٤٧٢- هذه الشلل ذكرتها هي زمرة
تستحق الإكرام والإعزاز هي زهرة

٤٤٧٣- زهرة لحياتك يا فتى ويا فتاتي
إذا سمعت مقولتي وهي بعض لقطاتي

٤٤٧٤- إذ تحسن الظن وتحسن الفعل بهم
إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم

٤,٤. رؤيته في المجموعات الاجتماعية والاقتصاد المالي:

قدّم الحاجب يوسف في الكتاب رؤية مفصّلة للمجموعات الاجتماعية والمهنية في عصره، مع استعراض الأدوار الحيوية لكل منها ضمن بنية المجتمع. فهذه المجموعات تضمنت الطبقات الحاكمة ورجال الحاشية، والعلماء، والمفكرين، والأطباء، والمنجمين، والشعراء، إلى جانب طبقات

من المزارعين، والتجَّار، والحرفيين كالرعاة، والحدَّادين، والنجَّارين، والعمَّال، وحتى الرماة والفقراء.

وصف يوسف الأوضاع المعيشية لكل فئة، مبرزًا أساليب حياتها وخصائصها الروحية ومواردها. كما شدَّد على دور الدولة في توجيه هذه المجموعات بطريقة تخلق مجتمعًا اجتماعيًا مثاليًا، حيث يكون التنسيق بين الفئات المختلفة ضروريًا لتعزيز الاستقرار وتسهيل حياة الناس. ويرى يوسف أن على الحكومة أن تعمل بوعي لتحقيق توازن بين المجموعات، وتيسير سبل التعاون فيما بينها لتنشيط البلاد وتحقيق الازدهار العام، مما يجعل المجتمع أكثر قوةً وتماسكًا.

بحسب رؤية الحاجب يوسف في قوتادغو بيليك، كانت الزراعة وتربية الحيوانات، إلى جانب إنتاج الحرف اليدوية والتجارة، وخطوط النقل الداخلية والخارجية، تشكل الركائز الأساسية لزيادة الرفاه الاجتماعي في ذلك الوقت. هذه المجالات كانت تمثل العصب الاقتصادي للمجتمع، حيث يساهم كل منها في دعم الإنتاج والتوزيع وتحقيق الاكتفاء الذاتي وازدهار الدولة.

أبرز يوسف أهمية تحقيق تنمية متوازنة في هذه القطاعات لضمان تلبية احتياجات الشعب وتعزيز رفاهه، مشيرًا إلى أن التنظيم الجيد لهذه المجالات يعزز من القوة الاقتصادية العامة للدولة. ويرى أن تحسين العمل في هذه القطاعات ليس مجرد مسألة اقتصادية، بل أيضًا خطوة أساسية لتحقيق العدالة الاجتماعية والتنمية المستدامة في المجتمع.

٤،٤،١. رؤيته في المزارعين:

يصف الحاجب يوسف في قوتادغو بيليك المزارعين بأنهم «أشخاص ضروريون ومحبوبون، بأذرع مفتوحة وقلوب مفتوحة»، لما لهم من أهمية حيوية في المجتمع. ويعتبرهم مصدر الخير والعطاء، حيث يعود عملهم بالنفع

على الجميع، ويُعد طعامهم الذي ينتجونه أساس الحياة، إذ «من يريد أن يعيش يحتاج إلى الطعام».

ويبرز بوضوح كيف يقدر المجتمع هؤلاء الأفراد، إذ يُنظر إليهم بإيجابية واحترام، ويعبر عن الامتنان لهم بوجهٍ مفتوح، مؤكدًا أن العمل الزراعي ليس مجرد وظيفة، بل هو خدمة عظيمة تسهم في تحقيق الاكتفاء وتدعيم الاستقرار الاقتصادي، ما يجعلهم أحد الركائز الأساسية التي تدعم حياة الأفراد واستقرار المجتمع ككل.

٤٤٠٠– تعرف على زمرة الدهقة
بهم خير أمة حصول البركة

٤٤٠١ كن في صفوفهم أحمل كريك
لتصنع خميرا أو يعمل يريك

٤٤٠٢– كل المآكل نتيجة حصول
بكد منهم لحيوان أو كول

٤٤٠٣– كل الدبيبة ذو الروح هنا
يأكل من كدهم ويشبع جياع

٤٤٠٤– لا ريب لأنك بهم احتياج
وحتى الطيور إليهم يرفرف جناح

٤٤٠٥– فلا بد أنك تكن مثلهم
بجهد وكد تعيش صنوهم

٤٤٠٥– أتسمع فلاحا حكيم البلاد
بتدبير كل تعيش العباد

٤٤٠٦- من له إحساس طهر طيب كامل
في المآكل والملابس وشغل شاغل

٤٤٠٧- كن معهم في الزراعة والحصاد
كن وفيا وتقيا بينك وبين العباد

٤٤٠٨- وإن طلبت الغنى والطهر والعفاف
كل حلالا واجتنب كل الرذيلة والزنا

٤٤٠٩- وإن طلبت القدر والإعزازا
اجتنب كل المساوئ وحسن الأخلاقا

٤٤١٠- إن كنت أنت من سلالة طين
ابتعد درب الفسق تبقى طيبين

٤٤١١- إن طيبا أنت ابتعد سر العناد
إن شرارا يضرم نار الفساد

٤٤١٢- اسمع القول من حكيم حاذق
كان نصحا من صديق صادق

٤٤١٣- إن فسادا حل في أرض العباد
اترك الأرض بعيدا عن نفاق

٤٤١٤- ليست هناك دولة دانت فساد
لو ضيوفا ساهرا لا تكن أنت رقاد

٤٤١٥- كل من في الدهقنة يده كريم
دائمًا باسم الله الرحمن الرحيم

٤٤١٦- لهم نصيب وافر في كل حول
كما نصيب الطير من حبه طول

٤٤١٧- كن معهم صبح شاما اقتدِ
بارك الله في حقول تفتدي

٤,٤,٢. رؤيته في الرعاة:

يعتبر الحاجب يوسف الرعاة في قوتادغو بيليك بأنهم «أهل النافع، أهل الحلال»، مؤكدًا دورهم المركزي في تلبية احتياجات المجتمع الأساسية. فهم يوفرون موارد متعددة لا غنى عنها، مثل الطعام، والكساء، والحيوانات للركوب والعمل، إلى جانب منتجات الألبان، والصوف، والزبد، والأقمشة، واللباد. هذه الموارد ليست فقط ضروريات للحياة اليومية، بل تمثل جزءًا من الاقتصاد المحلي وتدعم الاستقلال الاقتصادي.

كما ينصح بمعاملتهم بلطف وتسامح، دون فرض قوانين صارمة عليهم، معبّرًا عن فهمه لطبيعة حياتهم القائمة على البساطة والحرية في المراعي، ويعكس هذا تقديره واحترامه لدورهم الحيوي وجهودهم التي لا تُقدر بثمن في استمرارية الحياة وتعزيز المجتمع.

٤٤٥٩- أصحاب الأغنام كثيرة الأنعام
صفوة من الرعاة ملوك الأغنام

٤٤٦٠- هم حملة الأوبار والآكام
من الشياه والمعز وراية الجمال

٤٤٦١- هم صفوة من الملوك البررة
ديارهم بعد الديار وخيامهم دار المبرة

٤٤٦٢- فيهم قميز والحليب الزيت واللبن
يصنعون من الوبر فرشا للقين

٤٤٦٣- هم ملوك في المراعي والقناري
ليس منهم لعب بالنرد والقمار

٤٤٦٤- تنضم إليهم وتكن معهم
قوم فطريون عديم أذاهم

٤٤٦٥- إن سألوا أعطوهم السؤال
إن يطلبوا يعطونك المنوال

٤٤٦٦- لا تطلب منهم علما وأصول
مزاجهم خشن صحبة ملول

٤٤٦٧- تصاحب عليهم صاحبا قط
تقاليدهم خشن لا يلين قط

٤٤٦٨- حدد كلامك ولا تصاحبهم
هم جهل الطبيعة لا تطيقهم

٤٤٦٩- حيوانات أليفة عندهم كثير
جمل حصان وإليك كبير

٤٤٧٠- لا تقارب مرة إلى جمعهم
غلاظ شديد جهول مستقيم

٤٤٧١- نعم قول قال فيهم فهيم
لا تمد يدك إلى من لا يستقيم

٤٤٧٢ – صادق الصدوق أنه يقدر
باعد البعد اللئيم لأنه لا يقدر

٤٤٧٣ – إن جهولا يقترب فلتبتعد
لا يليق خلقه وقوله لا يعتمد

٤٤٧٤ – مثل هذا الصنف صنف الوبر
وإن تصاحب شخصه قوله هدر

٤٤٧٥ – لجل هذا قلت ما هم أهله
قلت لا، لا خلاق فيهم وأهلهم

٣،٤،٤. رؤيته في الصناعة اليدوية:

أبرز الحاجب يوسف في «قوتادغو بيليك» أهمية الحرف اليدوية والتجارة كعنصرين حيويين يعززان الاقتصاد ويزيدان من رفاهية المجتمع. كما عبّر عن حماسه لهذا النشاط الاقتصادي، إذ رأى في الحرف اليدوية قيمة فنية جمالية تتجاوز كونها مجرد نشاط تجاري، معتبرًا إياها «شكلًا فنيًا لتزيين الكون». كانت رؤيته تتسم بتقدير عميق للحرفيين والمزارعين والرعاة، ودورهم في بناء مجتمع متكامل ومزدهر، يجمع بين الإنتاج والجمال، مما يعكس عمق فهمه للعلاقة بين الاقتصاد والثقافة والقيم الاجتماعية.

فئتنا المحبوب هم أهل الحرف
صانع الأفران من طين خزف

صانع الفانوس وللطفل لعب
هم خيار الناس فرحا والطرب

حدادة خرازة وصناعة الجلود
وسروجي ونقاش ودبغ الجلود

زينة الدنيا بهم ميسورا
وكل صنعة عندهم ميسرا

كذا الصياغة بالذهب والفضة
حلي النساء وحياكة منقوشة

زخارف الجدران والنقوش
صباغة النسيج والكؤوس

إن اشتغلوا لك أعطهم الأجورا
ليرجعوا لأهلهم مسرورا

لا يعيبوك أمام الخلق هم
احتفظ بسمعتك من عندهم

إن عددنا الصنع لا حصر لها
من صنوف الحرفة أنت لها

قال حكيم لا تطلب المد من العمر كذا
واطلب الخير دواما مرحبا

إن قضيت العمر في أي المهن
لا تكون طول الحياة ممتحن

من خالف اليمن عليه ابتلى
بالسوء ولا السوء يشاء

من له سمعة حميدة سؤدة
فلا تكون صحافته مسودة

٤,٥. رؤيته في الاقتصاد

٤,٥,١. رؤيته في التجارة:

يصف الحاجب يوسف التجار في قوتادغو بيليك كشخصيات لها دور حيوي في الحياة الاجتماعية، حيث يرون العالم بعين الخبير ويجمعون من خبراتهم رؤى وحكمة واسعة. يعتبرهم أشخاصًا يتمتعون بفهم عميق ومعرفة متراكمة، تمكنهم من تقدير الأشياء الرائعة وتوسيع الأفق الثقافي للمجتمع. يرى أن للتجار تأثيرًا إيجابيًا على المجتمع من خلال ما ينقلونه من معارف وقيم حضارية، كما أن خبرتهم في التعامل مع مختلف الثقافات تضيف بُعدًا من الوعي والانفتاح الفكري في المجتمع. فيوصي بأن تكون حماية طرق التجارة وتأمينها من قُطّاع الطرق من مسؤوليات الحاكم الأساسية. ويستشهد بواقعة تاريخية تؤكد ذلك، ففي عام ١٠٩٧، عندما أغلق التانغوتيون طرق التجارة الداخلية، أرسل القَرَخانيون قوات لفتح وتأمين الطريق[١].

نرى تركيز الحاجب يوسف على أهمية الحياة الحضرية أن رؤيته تعكس للتنوير الاقتصادي والاجتماعي، ويبرز تقديره لأهمية التجارة والازدهار الحضري كمحركات للتقدم، ما يكشف عن رؤى تقدمية تدعو للاستقرار والتنمية في المجتمع.

٤٤١٩– زمرة التجار صفوة أكرمين
بيعا شراء بالحلال واليقين

[1] قوتادغو بيليك خزينيسي، 353.

٤٤٢٠- للمعيشة يتاجرون عبر الديار
غربة عيش خشن بالاختيار

٤٤٢١- يا فتى التجوال انضم ربعهم
اعرض السلعة عليهم وراع ربحهم

٤٤٢٢- وفيهم آمال الحياة وعيش رغد
كن معهم وزنهم واعمل واجتهاد

٤٤٢٣- في الفيافي والقفار يذهبون
شرقا وغربا برزق ربي يرزقون

٤٤٢٤- يرحلون للأقاصي من كوره
في الجنوب والشمال يتجره

٤٤٢٥- إن همو لم يرحلوا تلك الديار
وكيف تلبس مخملا دودن توار

٤٤٢٦- إن غبارا لم تقع عبر الدروب
كيف تحصل أطلسا والثوب روب

٤٤٢٧- إن همو لم يرحلوا بعد البلاد
كيف نحصل للحلي والكهرمان للقلاد

٤٤٢٧- مثل هاتيك السلع من تاجر
يأتي البلاد وغيرها من نادر

٤٤٢٨- صفوة التجار الله بارك
كن لهم عونا وشريكا تتبارك

٤٤٢٩- أكرم الصفوة واحترم مشوارهم
احترس دوما بخير ميعادهم

٤٤٣٠- هم حاملون مشعل القوم بعادا
فيهم الشهرة واسمك يستعادا

٤٤٣١- إن أتوك بالهدايا والزمرد
أكرم العودة بهم بالمثل أو زياد

٤٤٣٢- هم يحسبون الربح والخسارة
انتبه هذا الظروف اعمل جسارة

٤٤٣٣- اسمع كلام مجرب الدروب
الذي أتى بنا قماشا والحبوب

٤٤٣٤- يقول إذا أردت شهرة الاسم
أكرم مسافرا تاجرا الاسم

٤٤٣٥- إذا أردت أن تكون لك سمة بارزة
احترم تاجرا يشتري ويبيع بالياردة

٤٤٣٦- إذا أردت أن يكون اسم مميز
ضيف ضيوفا ولو بدون ميزة

٤٤٣٧- وهكذا كن معهم شريك صديق
متساوي النصيب تفرج بعد ضيق

٤,٥,٢. رؤيته في الحياة المالية:

في قوتادغو بيليك، يبرز الحاجب يوسف أهمية الحياة المالية والاقتصاد

الوطني كركيزة أساسية لحياة البلاد واستقرار المجتمع. ويرى أن القوة الاقتصادية ليست مجرد وسيلة لتحقيق الرفاه الوطني، بل هي أيضًا عنصر أساسي في الاستقلال السياسي والعسكري. إذ يؤكد أن تقوية الدولة وإثراء الشعب يساهمان في إحلال السلام الاجتماعي وتعزيز قدرة البلاد على مواجهة التحديات الخارجية.

فهو حذّر الزاهد أودغورميش من مغبة تجاهل أهمية الاقتصاد المادي، مشيرًا إلى أن تحقيق الخير والإحسان لا يمكن أن يتم بمعزل عن الأسس الاقتصادية التي تدعمه ؛ لأن في رؤية الحاجب يوسف أن الثروات المادية ليست مجرد وسائل لتحقيق الكمال الفردي، بل هي ضرورية لرفاه المجتمع وضمان استقراره.

وانتقد بشدة الإسراف في الأمور المادية، معتبرًا ذلك بوادر لكارثة محتملة ؛ إذ إن التبذير يهدد بانهيار اقتصادي ينعكس على الدولة وأفراد المجتمع. ويؤكد أن على الدولة وأفرادها التعامل مع الموارد بحكمة واعتدال، وأن الازدهار المالي المبني على إدارة رشيدة هو الأساس الذي يمكن من خلاله توفير حياة كريمة وداعمة لأفراد المجتمع كافة.

وهو يقول فيه:

٣٠٣٠- سيوفنا من أصلها يمان
وأصلنا في كل شيء إيمان

٣٠٣١- إن النصر مرهونة في بذلكم
عطاؤكم لها صفات عندكم

٣٠٣٢- إن الجنود بكثرته فتوحات
وحاكم بغير جند لا يستبات

٣٠٣٣- رضا الجنود من الملوك نعمة
طالت يد إلى الممالك بغنوة

٣٠٣٤- سب العطا من الملوك بسمة
في الثغور عرشهم مثبت

٣٠٣٥- إن الحكم يباعد البخيلا
ولم يكن بستانه نخيلا

٣٠٣٦- سخاوة الشخص تكن نشانه
كم يجلب الود له نثاره

٣٠٣٧- أنت البخيل بشحه منسية
وهيكله بالزاوية مرمية

٣٠٣٨- وللملوك عطاؤهم شكيمة
بصدارة وشهامة مروية

٣٠٣٩- توءم السيف يكن إما ذهب
وفضة في الأيادي التهب

٣٠٤٠- إن الذهب صيانة وضامنة
كل الوطن وللسفن العائمة

٣٠٤١- إذا الفوارس بالسيوف لمعت
ضرب الجنود على الرؤوس أينعت

٣٠٤٢- كم حاكم بذل العطايا باذلا
حكم البلاد كأنه بها هازلا

٣٠٤٣- توءمان في حماكم جازلان
مال سلاح في صالة يغازلان

٣٠٤٤- الله وحده قاضي الحاجات
للعطايا تنحني القامات

٣٠٤٥- كل الخفايا بالذهب قد تنجلي
كم سدود بفضة قد تنمحي

٣٠٤٦- إن الذهب يجلب قلوبا حانية
وجمعه لك يهوي بك في الهاوية

٣٠٤٧- مقابض السيف محلاة فضة
افده دوما بالذهب يا قدوة

٣٠٤٨- اعرف الضداد في حكم البلد
ضد الحكم شح وبخل أين ذهب

٣٠٤٩- شتيمة للبخل دوما ابتعد
للمديح العادل دواما استعد

٤،٥،٣. رؤيته في توظيف الموارد المالية:

قدَّم الوزير الحاجب يوسف رؤية عميقة لدور الاقتصاد في استقرار الدولة وقوتها العسكرية. فهو يوضح أن جمع الموارد المالية وتوظيفها بحكمة يعد من الضرورات التي تعتمد عليها الدول لحماية أمنها ودعم جيوشها. في البيت ٢٠٥٧، يستخدم يوسف تشبيهات أدبية ليجسد هذه الفكرة، مبينًا أن القوة الاقتصادية هي الداعم الأساسي للقوة العسكرية، ما يتيح للدولة القدرة على الدفاع عن حدودها وضمان استقرارها الداخلي.

إن ترم تمسك زماما ك يستعد
لا تنس مالا تحب أن تستعد

يا لك إن كنت تأس ذا الأمم
لا تغفلن عن ثلاث لا تنعدم

إن كنت تشغل يمنك بسيف
اذل يسارا كريما لضيف

إن كان قولك لذيذ الشكر
يخضعك عن صغير وكبير

يا لك يجب كذا للسلطة
ترفع القدر بهم لسؤدد

وجه صبوح قول لذيذ طعم كما
يجب عليك خلق رفع قد السماء

بهذا، يؤكد يوسف أن الاعتناء بالاقتصاد الوطني ليس فقط أمرًا يهم رفاه الشعب، بل هو ركيزة لبقاء الدولة واستمرارية قدرتها على أداء دورها الحامي، ما يعكس فهمًا عميقًا للعلاقة بين الاقتصاد والأمن.

٤,٥,٤. رؤيته في الاستهلاكات المالية:

وعند مناقشة المسائل المالية في «قوتادغو بيليك»، يؤكد الحاجب يوسف على أهمية التوازن بين الإيرادات والاستهلاكات، مشددًا على ضرورة تحقيق العدالة في توزيع الموارد المالية للدولة. كما يحذر من الإسراف والتبذير في الأموال العامة، ويرى أن الحفاظ على ميزانية الدولة وتنظيم مواردها يعد أمرًا جوهريًا لضمان استقرار المجتمع.

في البيت ٤٥٣٨، يشير إلى هذه المبادئ بعبارات واضحة، موضحًا أن الاستقامة في التعامل المالي تعزز من ثقة الشعب في حكومتهم وتساعد في تحقيق الرخاء للجميع، وتعتبر هذه القيم حجر الزاوية للحفاظ على اقتصاد سليم وخالٍ من الأزمات.

فليكن مال وملك بالخلال
لأمة الإسلام بارك الله ذو الجلال

هشم العيش وابسط سفرة
أحسن السمعة بكم بطعم وفرة

حافظ الدخل الميسر دائما
اصرف المدخول كما كيفما

سهل العملة أخذا وعطاء
سهل الله عليك الالتجاء

إن قصرت يد لبعض الوقت ما
اصبرن يومين واكتم أمرها

إن سمع صديق بك اكتفى
إن عدد يضحكون يقتفي

لا تذل نفسك أمام الأصدقاء
اطلب الرب العطاء يقول مرحبا

كن صديقا لصفوة من الرجال
كن بالصفا مثلهم مثل الرجال

لا تكن بالمال لغيرك مشترك
تصعر الوجه غدا لأنه اشترك

لا تكن مبناك يطل شارعا
تخلي نفسك من قيل قال فارغا

٤,٥,٥. رؤيته في النزاهة السوقية:

يشدد يوسف خاص حاجب، في قوتادغو بيليك، على ضرورة النزاهة والاستقرار كأساس للأسواق، حيث يوضح في البيت ٢٨٠١ أن استقرار الأسواق يعتمد على التزام التجار بالمعايير الأخلاقية، وأن الحفاظ على هذا الالتزام يسهم في بناء مجتمع عادل ومزدهر.

كما يركز في البيتين ٥٥٧٢ و٥٥٧٣ على مفهوم «نقاء العملة»، مشيرًا إلى أن الثقة في التعاملات المالية لا تنبع فقط من قيمة المال نفسه، بل من الاستقامة والنزاهة التي يلتزم بها الجميع في المعاملات الاقتصادية.

فهو يرى أن هذه القيم تشكل الأساس لاقتصاد قوي ومستدام، حيث تخلق الثقة المتبادلة استقرارًا وثباتًا يدعمان تنمية المجتمع وازدهاره.

يطلب المرء اسما ذو شهرة
لو عاش ما عاش أو تحت الثرى

عليك للأمة حقوق ثلاث
إذا أديتها قد رسيت الأساس

أولها الثرى في الخلق يفشي يغتني
تعرف المعيار في الذهب حتى تقتني

٤,٦. رؤيته في الدولة

٤,٦,١. رؤيته في تحلية الحاكم بالثقة:

ويوضح الحاجب يوسف في «قوتادغو بيليك» أهمية تحلية الحاكم بالمصداقية والثقة أمام شعبه، إذ يشير في البيت ٢٠٣٧ إلى أنه لا توجد أزمة أشد خطورة على المجتمع من فقدان الحاكم لمصداقيته. ويعبر عن أن الحاكم الذي يتسم بالخداع والكذب يفقد احترام الناس، مما يؤدي إلى اضطرابات اجتماعية قد تهدد استقرار البلاد.

رؤيته تعكس قناعته بأن الثقة المتبادلة بين الحاكم والرعية هي أساس الحكم الرشيد، وأن النزاهة والشفافية في أفعال وأقوال الحاكم ضرورية لاستدامة النظام الاجتماعي وتعزيز روح الولاء والتضامن بين أفراد المجتمع.

٢٠٣٦- إذا تحكم الملك قانون السلام
أخضر يابسة كما يعيش دوام

٢٠٣٧- لعمل بصدق ملوك الزمن
وساءت ديار بالكذب وامن

٢٠٣٨- يجب أن يكون الأمير بحلمه وسام
لذا سلمت أمته ويمسك بالزمام

٢٠٣٩- وليس كذابون أهل الذمم
ولا الوفاء لأنهم سيء الأمم

٢٠٤٠- استمع أهل الوفاء كيف يكون
شئون وملته لست يهون

٢٠٤١- كذابون حفاة عراة الهمم
أهل الوفاء بوفائه هم الأمم

٢٠٤٢- لا تظنن أهل الكذب من الوفاء
لأنهم أهل الجفا عند الله

٢٠٤٣- ذوى القلوب أبيض هم الرجال
رجالهم هم الملوك سكونهم ترحال

٤,٦,٢. رؤيته في العمل:

في «قوتادغو بيليك»، ظهر الوزير الحاجب يوسف احترامًا وتقديرًا عميقًا للعمل بوصفه أساس حياة الإنسان، مستعملًا تشبيهًا شعريًا يصف العمل بأنه «زهرة الحياة»، مما يرمز إلى جماله وأهميته. ويوضح في إحدى الأبيات أن ندم الإنسان يجب ألا يكون على السنوات التي مضت، بل على تلك التي مرت دون أن يُنجز فيها عمل أو إنتاج، معتبرًا أن الحياة الحقيقية تُقاس بالجهد والإنتاج.

وكذلك يربط بين العمل والسعادة، معتبرًا أن العمل هو السبيل الأهم لتحقيق الرضا والنجاح. كما يشدد على ضرورة تقدير الجهد الذهني والإبداع، معتبرًا أن التفكير جزء لا يتجزأ من العمل المثمر، وهو ما يعكس رؤيته العادلة التي تتطلب أن يكون للتفكير والابتكار قيمة مكافئة لقيمة العمل اليدوي.

٥٨١٠- إن من أصل الأصول العمل
عزمكم إلى الثريا عبر العمل

٢٨١٤- لا تكن كسلان في صحن العمل
كل إيمانك يكن قد اكتمل

٤,٦,٣. رؤيته في الخزينة:

ركَّز الحاجب يوسف تركيزًا عميقًا على النظام المالي والإداري في كتابه، مشددًا على أهمية دور الخزنة وضرورة نزاهتها في إدارة المال العام. في الفصل الخامس والثلاثين، يُبرز أن الخزينة يجب أن تكون متوازنة وتبتعد عن الخيانة والإفراط، مشيرًا إلى أن الخزينة ينبغي أن تحظى بمسؤولية كبيرة في إدارة الأموال، وتكون قادرة على الحفاظ على أمانتها.

ويؤكِّد على أهمية التوازن بين الإنفاق البذخي والتقشف، حيث يجب على الخزنة أن تكون حذرة في إدارة الموارد المالية، وأن تسجل جميع المعاملات بدقة. يُعتبر أن الخزينة يجب أن تدمج معلومات السوق والملكية لتقييم الحالة المالية بشكل شامل.

تُعدُّ أفكاره حول الملكية العامة والخدمات المالية تعبيرًا عن فهم متقدم للإدارة المالية، ويعكس رؤيته العميقة بشأن العلاقة بين العمل والعدل في توزيع الثروات. يُظهر ذلك إسهاماته كمفكر اجتماعي بارز في التاريخ الفكري، حيث تُعتبر توصياته حول تقدير الجهد والعمل جزءًا من تراث الفكر الاجتماعي.

٤,٧. رؤيته في التدابير العسكرية:

يعتبر «قوتادغو بيلك» أحد الجواهر الثمينة التي تلمع في أعماق البحر، تعد رؤيته حول التدابير العسكرية إحدى الجواهر. فيبرز الوزير الحاجب يوسف في «قوتادغو بيليك» فكرة إدارة الدولة بنظام قانوني قائم على العدالة. ولم يكتفِ بالتأكيد على أهمية القوانين، بل شدد أيضًا على ضرورة القوة العسكرية (السيف) لحفظ الدولة.

فيقدم الحاجب يوسف بشعاره، «إن السيف لقطع رقاب الأعداء، والقانون لتنظيم حياة الشعب» بتدابير عسكرية منظمة وفق معايير العصور الإسلامي في

عهده، سأبين توضيح هذه التدابير الأساسية بأسلوب مختصر كما هي:

٤,٧,١. حول تكوين الجيش:

بحسب المعلومات التي قدمها يوسف خاص حاجب، كان جيش القَرَخانيون يتألف من عدة تشكيلات، وهي:

١. **الحرس الخاص بالقصر:** هؤلاء الحراس كانوا مكلفين بحماية القصر الملكي والحفاظ على الأمن في محيطه.

ويوضح الحاجب يوسف بشكل خاص تقسيم الحراس الخاصين بالقصر إلى فئتين ؛ فالفئة التي تقوم بالحراسة النهارية تُسمى «تورغاق» (الحراس النهاريون)، بينما الحراس الذين يتولون حماية القصر خلال الليل يُسمون «ياتقاق» (الحراس الليليون).

٢. **الجيش الخاص:** وهو الجيش الذي يخضع مباشرةً للخاقان (السلطان)، ويتولى تنفيذ الأوامر العسكرية والإدارية.

الجنود التابعين لأسرة الخاقان: هؤلاء الجنود كانوا جزءًا من الجيش الذي يخدم الأسرة الحاكمة ويُعتبرون من بين القوات الأكثر ولاءً. كانت قوات القَرَخانيون التابعة لعائلة الخاقان تضم وحدات يقودها البكوات ومسؤولون آخرون من الدولة، إضافة إلى قوات أخرى بقيادة زعماء القبائل. بناءً على الظروف، كانت هذه القوات تقوم بعمليات عسكرية إما بشكل مستقل أو بالتنسيق مع بعضها. وغالبًا ما يتمتع الأمراء من عائلة الخاقان بحقوق «الإيلك خان» التي تخولهم حكم مناطق معينة من الدولة. وفي حال تعرضت منطقتهم لهجوم خارجي، كان هؤلاء الأمراء يقودون قواتهم الخاصة لمواجهة العدو مباشرة.

٣. **الجنود الذين يخضعون للبكوات والمسؤولين الحكوميين:** هؤلاء

الجنود يتم تجنيدهم بناءً على أوامر من البكوات والولاة الذين يديرون مناطق معينة من الدولة.

٤. **الجنود من القبائل التابعة للدولة:** كل قبيلة كانت تساهم في القوات المسلحة تحت قيادة زعمائها المحليين.

٥. **الجيش الحامي:** خلال فترة الحرب، كان القَرَخانيون ينشئون وحدة عسكرية خاصة تُعرف بـ «يورتوغ» (قسم الحماية). يتمركز جنود هذه الوحدة حول مقر بُوغرا (القائد) ويتلقون تعليماتهم من القائد العسكري. كان الهدف الأساسي لهذه الوحدة هو الحفاظ على تماسك الجيش ومنع تفرق الجنود أو انسحابهم دون أوامر رسمية، كما كانت مهمتها الرئيسية تتمثل في حماية الخاقان. يُقدّر عدد أفراد هذه القوات الخاصة بحوالي ١٢ ألف مقاتل.

٤،٧،٢. في كمية الجيش وجودته وتسليحه:

يعتقد الحاجب يوسف في قوتادغو بيليك ضرورة أهمية الجودة على العدد في تحديد فاعلية الجيش مستندا فيها على تجاربه الغنية في تاريخ الحروب. كما يعتقد أن النصر في الحروب لا يعتمد فقط على عدد الجنود، بل على عدة عوامل أساسية مثل: شجاعة المحاربين، تنوع الأسلحة المتاحة، وموهبة القائد في قيادة المعركة.

معيار جودة الجيش: يتمثل معيار جودة الجيش عنده في شجاعة الجنود وبسالتهم في أرض المعركة. فالمقاتل الذي يدرك أن كفاحه هو لأجل وطنه وشعبه يندفع بروح عالية وعزيمة قوية، ما يمنحه الحماس والإقدام لخوض القتال دون رهبة. ويؤكد أن الدافع الحقيقي الذي يجعل الجندي يقاتل ببسالة هو إيمانه بقضيته وإحساسه العميق بالواجب نحو وطنه وأبناء شعبه. وتبرز الروح القتالية والمعنويات العالية كعامل حاسم في تحقيق النصر للجيش،

متفوقةً على أهمية العدد الكبير للجنود.

معيار قوة الجيش: قوة الجيش لا تقاس عنده بعدد الجنود، بل بالقوة المعنوية (روح القتال) وانضباطه. في قوتادغو بيلك، يركز الحاجب يوسف بشكل خاص على أهمية تسليح الجيش بأسلحة متنوعة، ويصف هذا الاهتمام بشكل بارز في الأبيات التالية:

٢٢٦٩- جوابا يا مليكي ونبض قلبي
إلهى يرفع أيدي على الأعداء ضدي

٢٢٧٠- على ركن يجيش في صدر الحمى
فلا يلزم يوقظ نوم أعداء في الوغى

٢٢٧١- ليجسر يأسد في قبالة أمة
طاغية باغية ولا يكون من طبعه سفه

٢٢٧٢- عظيم القدر من قاد الجيوشا
شريف النفس من ساد الشموسا

٢٢٧٣- شموس الحرب من رب القيادة
يكن بالله ونصرته عبادة

٢٢٧٤- حليم الطبع كريم النفس غيرى
يكن بالله يستنصره ويبلى

٢٢٧٥- أيا شجرة الكروم كرم الضيافة
ويختار الأشاوس ويعرف قيافة

٢٢٧٦- أقم جسر المحبة بين أفراد
يكن لهم أبا من غير إفراد

٢٢٧٧- ويملك من حصان السرج كلا
وهدم وشتت شمل أفراد العدا

٢٢٧٨- ولا يمل إلى مال قد غنمته
يزن تلكم الأموال وأكمل حلقته

٢٢٧٩- إذا ملك الزمام لأوف جند
به من شهرة وطلاء غمد

٢٢٨٠- إذا الهتم الغذاء لفدا جند
وأعطى عدة الحرب من سيف وغمد

٢٢٨١- وأحصنة ومطايا من غير عد
ولا يركن إلى غفلة ونفذ قول وعد

٢٢٨٢- إذا كان بهذا الوصف ركن
ينام الجند يفدى ولا قام للعدا ركن

٢٢٨٣- ولا زارت عيونهم كراء
ولا حامت هموم اليأس نزلا ووكرا

٢٢٨٤- فلا خوف عليهم ولا يحزنون
أشاوس ضرغام قبل النداء يخرجون

٢٢٨٥- قلب جيش ومقدمة عند القتال
كويس ذل يوم الوصال

٢٢٨٦- في كل حال إن الموت يدركه
إن لم يجئ أجل أن ليس يدركه

٢٢٨٧- سمع غيورا جسورا يا فتى تأسد
فكيف يجرؤ فتى والغيرة فيه تكدَّد

٢٢٨٨- لن يموت المرء دونما أجل
اضرب سيوفك الرقاب دون وجل

٢٢٨٩- دون التردد أضر بمثل إليك
دونما أجل لم تأت المنية لك

٢٢٩٠- يبقى الحياء لمن لا يستحيى أبدا
ليسد قهر العدو وتخجل من كسر يدا

٢٢٩١- اجعل لنفسك من الحياة يدا
تضرب عدوك ـ من لم يستح كمدا

٢٢٩٢- يوغط الحياء من به الوجلا
دون المني فاعلم لم يأتك الأجلا

٢٢٩٣- قلب جسور مع الحياء توءم
أقبل اشجعان الوغى واترك من هو نوَّم

٢٢٩٤- تأمل من القائد أن يكون مهاجما
على أن يكون دائما متواضعا

٢٢٩٥- المتواضعون يحب من يتواضع
القائد المتكابر على الجند يوقع

٢٢٩٦- القائد المتكابر المغرور
على الدوام في الوغى مغلوب

٢٢٩٧- المتكابرون على الدوام غفَّل
عند المليك والعوام على فشل مسؤول

٢٢٩٨- استهدوا تأكدوا استبسلوا
عند الوغى بروحهم استنفروا

٢٢٩٩- يا قائدي استقبلن بهيبة
وللضعيف ببشركم محبة

٢٣٠٠- أمرة الجيوش ذو السياسة
لتأمرن بهيبة الرياسة

٢٣٠١- بهيبة السياسة الجيوش
ولم تفل رياسة العبوس

٢٣٠٢- لا تبرحن سياسة الجيوش
لأنهم تحليل القيود

٢٣٠٣- لتحترم من الجنود حليما
لأنهم في حاجة الكريما

٢٣٠٤- إذا ائتمرت لتأمرن معقولا
تحترمهم لأن تكون مقبولا

٢٣٠٥- مطالب الشعب تكن طيبا
يكن عبيدا لديكم مطيعا

٢٣٠٦- فتستمع حليمنا الحكيما
لتسلين نفوسكم تكريما

٢٣٠٧- أحرارنا عبيد هذا الطيب
كن كريما محسنا يا طبيبنا المطيب

٢٣٠٨- إن كنت راجلا أمامك رجالا
لا تقربن أناسا منهم دجالا

٢٣٠٩- هذه الصفات لركن الجيوش
يلزم له هذه عند التقاء الوحوش

٢٣١٠- تجاسر أسودا عند الوغى
ويلزمك ساعد لردهم البغاة

٢٣١١- كخنزير ملعون وفيه شراسة ذئب
تشبث دب مثل كيك الذئب

٢٣١٢- بحذاقه وحيله مثل ثعلب ماكر
في هيبة وضخامة مثل البعير الهائج

٢٣١٣- فليكن من ناهض قبل الخبر
وليكن من داره مكتبة والمختبر

٢٣١٤- وليكن سوداء وجه أسدا
ولينصر الزملاء ولا يكون حاسدا

٢٣١٥- ليله كنهاره مثل يوم نافرة
وليكن مؤمنا لا كافرا

٢٣١٦- بهذه الصفات ذا محارب
مقبلا مهما يكون لا هارب

٢٣١٧- موائده مزدانة بالأطعمة
ولا يحب لنفسه كله هبة

٢٣١٨- طعامنا زاد المعاد ههنا
مليكنا لدائنا عين الدواء

٢٣١٩ولتسمع المجرب المحاربا
ابسط بساطك من أرضنا إلى السماء

٢٣٢٠- اقصد به الموائد المليئة
ليأكل الأخيار بالهنية

٢٣٢١- به اشتهر والمكرمة سخاوة
ليمح من القلوب عداوة

٢٣٢٢- وتحررتم بالمائدة المبذولا
لتشتهر بمكرم عدولا

٢٣٢٣- فهذه الأركان للركن الشجاع
ليبسط قبضته شبرا رباع

٢٣٢٤- وليكن كلامه صدق يقين
أما الكذوب لا يصدقن لو باليمين

٢٣٢٥- اتبع سخاء لتتبعن أمته
ليعلين قدره وهمته

٢٣٢٦- يكن عالي الهمة وقلب جسور
يقين الأوامر وصدر كبحر حبور

٢٣٢٧- محكم الزمام تمام حيلته
بصيرا بالأمور طافح همته

٢٣٢٨- ينهض جيشه رهن الإشارة
يكن له جنوده تأييد إشادة

٢٣٢٩- زعيم الجنود بهذه الصفات
يفك الحصار بقلب ثبات

٢٣٣٠- بهذه الخصال تنعم ملته
بهذه الجسارة تأمن شعبه

٢٣٣١- نباهة القائد قهر العدو
نياشين نصر إليه تعود

٢٣٣٢- ليس النصر بكثرة الجنود
بل بنهض مبكر وضبط العهود

٢٣٣٣- كذلك العتاد سلاح جديد
قطع الحديد وبأس شديد

٢٣٣٤- كثرة القائد يحل الجنود
منها فريق ينسى العهود

٢٣٣٥- لين الرياسة يفك العزيمة
بهذه الفكاك ينصر غريمه

٢٣٣٦- قال قائد قديم التجارب
بجند قليل شجاع محارب

٢٣٣٧- اثنتا عشر ألف كثير العدد الآن
خليك مع الشجعان في الوقت والآن

٢٣٣٨- أربعة آلاف تكفيني الآن
مقابل جيش كرار وجرار

٢٣٣٩- إذا زاد العدد يحتاج له عدد
نشره إدارته يتعب الغدد

٢٣٤٠- زعيم محارب قال أحارب
برجال أشاوس وعتاد ضارب

٢٣٤١- روى التاريخ جيشا كبيرا انهزم
كسب الحروب عدد قليل منظم

٢٣٤٢- وقائد أمر الهجوم وانتظر
كيف العداء ضرب الرقاب وانتصر

٢٣٤٣- كن قائدا قم في الصفوف مقدما
ليس الظفر بما صرف وقدما

٢٣٤٤- وليكن تاووش من خير الأشاوس
يبعد ركنه من سائر الجيوش

٢٣٤٥- وليطن طعمة للعدو غمة
يضرب من الخلف فرق الشملة

٢٣٤٦- حسب الالتزام يكن منتظم
لا يسمح قط لفارق الجمع

٢٣٤٧- ركن الأركان يغتنم فرصة
من شرخ العدو أو بيان فرقة

٢٣٤٨- لا تنس الفرقة رافع الأعلام
حسب الإشارة يقفز المقدام

٢٣٤٩- نصب الأعين بالعدوة القصوى
العدو سافل وطيس الوغى

٢٣٥٠- لا يغفل قائد عن عشب وماء
يختر مكانا في سكب الدماء

٢٣٥١- حارس الجنود لا ينام قط
لا يحرك لسانه لتعجل به

٢٣٥٢- يستنطق الحارس آذان العدو
دون التكلم ليعرف عدده كذا عدته

٢٣٥٣- يبلغ القائد معلوم العدو
ليصدر الأمر لإرغام العدو

٢٣٥٤- بالنباهة ينتصر جيشه
ينهزم العدو فتى وشيخه

٢٣٥٥- سلاح المنتصر حيلة نباهة
شراسة المقدام ضرب مباغة

٢٣٥٦- وعي الجنود دستور القتال
خلوص النية يحمى من زوال

٢٣٥٧- من عدد النظر وضبه مباغت
هو المظفر والنصرة ساقط

٢٣٥٨- العدو مختار مكسور شوكته
اقبل مداهم اكتب ملحمة

٢٣٥٩- إن كان العدو في العد أكثر
قم بالتدابير والضرب أشكل

٢٣٦٠- إن جنحوا للسلم والصلح أفضل
قم بالمهمة والشد أفضل

٢٣٦١- إن تهجم هجوم افعل في الظلام
استعمل قهرا والنصر أفضل

٢٣٦٢- إن تقل جندا ابعث رسولا
احجم عن قتال افرض معولا

٢٣٦٣- اعقل بقول افرض إرادة
قم بالتدرب جندا إدارة

٢٣٦٤- إن كنت شاكا من قول العدو
اهم بأنه عدو لدود

٢٣٦٥- أهد الهدايا للجند بالمال
ابذل مديحا للجند القتال

٢٣٦٦- طولة القتال يفتح عيونه
بمرور الوقت يظهر عيوبه

٢٣٦٧- اسمع مقالة من قائد فعال
مجرب الحروب في كل القتال

٢٣٦٨- شهرة العدو غيرت أفهام
عند التلاقي يكن لك إنعام

٢٣٦٩اضبط مصاريف ابحر بقارب
إن طال القتال العدو غالب

٢٣٧٠- قسما من الجيش اجعل في الكتمان
لا تجعل عدوك يلقاك بأمان

٢٣٧١- اختر جسورا من فيلق الإيمان
وفى المقدمة اجعلهم ضمان

٢٣٧٢- أبو لحية بيضا وقلبا أبيضا
هم المجربون يصلح للبقاء

٢٣٧٣- من فتى الشجعان هم القهرمان
يمضون بسرعة من غير أمان

٢٣٧٤- ذي الثقات اجعل مقدمة
كذا المؤخرة يحث المقدمة

٢٣٧٥- من ذوى السهوم تهتك الطقوم
اجعل اتكال للحي القيوم

٢٣٧٦- صنوف قاربت تهجم بالرماح
بسيف اليمن اقحم الرياح

٢٣٧٧- بالفأس والسيوف فك الالتحام
وبالخناجر انجح امتحان

٢٣٧٨- لا يهيبنك عدد عدة العدو
ولا تعط ظهرك لضربة العدو

٢٣٧٩- شد العزيمة واصبر صبر منتقم
احسب عدوك أنه لان منهزم

٢٣٨٠- فرح العروسة يوم عرسها ينجلي
وابذل قصارى جهدك ولا تبخل

٢٣٨١- إذا الجند يبذل قصارى جهده
مثلما ينقص قصده

٢٣٨٢- جند البواسل تبرز في الوغى
ولن تسمح لباغ أن يكسبا

٢٣٨٣- جنود إذا قابل البواسل أسود الوغى
يفدوا بروحهم أو يفنوا العدا

٢٣٨٤- أبطال المعركة حمراء الوجوه
إذا اشتد المعارك حمر الوجوه

٢٣٨٥- سرج الفرس والفارس احمرتا
بيض الوجوه وأشاوس اخضرتا

٢٣٨٦- إذا العداء هاجم علينا فجأة
قم قاومهم بعد حين هشة

٢٣٨٧- إن حرك الأعداء عليك هدفهم
حرك إليهم بدد عليهم جمعهم

٢٣٨٨- إذا هرب أعداءن يجب تلحقوا
وجب على جند الفداأن يقتلوا

٢٣٨٩- ألا يكن قوادنا يتمذهبوا
من خلفهم من جندنا تشتت

٢٣٩٠- تواجهوا كر العدا هجومه
شدت علينا بأسه خصوم

٢٣٩١- إن تيأسوا من نصرهم تهالكوا
شدوا الوثاق لو أنهم تجاسروا

٢٣٩٢- تراقبوا تحركات العدو دوما
الله وعد عليكم بالنصر يوما

٢٣٩٣- إن يغفل المرء من مشيبه هلك
كيف الجنود في الوغى جسمه التهب

٢٣٩٤- قال لي مقاتل مجرب
لا تتبع كثيرا خلف العدو يهرب

٢٣٩٥- إن شوشرة ميدان القتال كهربت
شكيمة البواسل تشتت

٢٣٩٦- اليائسون من الحياة قد يتأسدوا
قد يقتلون لكنهم هم يقتلوا

٢٣٩٧- مقاتلون ابذل لهم كل السخاء
بجهدهم جهادهم لنا البقاء

٢٣٩٨- من الغنائم نصيبهم كبيرة
بجفوة يقاتلوا وبكل حيلة

٢٣٩٩- إن نمدح الأشرار قد يصابوا
من يرفض المديح، بل بغاروا

٢٤٠٠- إن تشيد بالشجاع يصد أسد
يقطع البازي حبالا من مسد

٢٤٠١- كل جرح من جنود داوه
كل أسر من عدو أفده

٢٤٠٢- إن بيتا من الجند جهز واكرم نزله
لأسرته أولاده أعط حقه

٢٤٠٣- لهذه المكرمات يرنو الجنود
يقاتل في الحروب مثل السود

٢٤٠٤- إن تكرموا أكرمننا في شخصه
رفعته عند الممات من قدره

٢٤٠٥- أعطه المال كما حسن الخلق
يكرم عليك ربنا من فوق الأفق

٢٤٠٦- بالمال والبشر وحسن الخلق
ثلاثة من الخصال كله شفوق

٢٤٠٧- هذه الوصايا من عالم فاضل
فبها تمسكوا مليكنا العاقل

٢٤٠٨- هذه الخصال مطلوب منكم
كل القلوب ولا بد أن مبذول لكم

٢٤٠٩- لا تطاول يدك المخزون الخزين
بكل حب يحفكم وما ترى حزين

٢٤١٠- يا قائد الجند السخاء خصاله
مقدم الجند يكن خيالة

٢٤١١- إن تفتدى بالذهب وفضة
جنودكم يفتدوا بدم حتى قطرة

٢٤١٢- إن البذل والعطاء أساس الكيان
جنودنا لبوا النداء في كل حين

٢٤١٣- وقائد بهذه الصفات مليكه
قاد الجنود لنصرة لأنها حليفه

٢٤١٤- م قائد يسعى إلى تدريبهم
يغز بهم ببسالة تحصينهم

٢٤١٥- كل الأمور يصب في الوزارة
بإدارة حكيمة يشدهم إزاره

٢٤١٦- هذه الوزارة والقيادة كلها
تبغى الرحال جامع بالخصال جلها

٢٤١٧- مليكي هناك من شيئين
كسيدين الحسن والحسين

٢٤١٨- أحدهما الوزير في يده القلم
وثانيهما قائدنا يرفع العلم

٢٤١٩- على يديهم يرتكز أمر العباد
باتحاد منهم تترقى البلاد

٢٤٢٠- في اختيار القائدين نجتهد
ليكونوا عمادنا إليهم نستند

٢٤٢١- خيارهم خيارنا في الاختيار
خطأهم يجلب هلاكا ودمار

٢٤٢٢- إن وفقوا ثمارهم فوائده
زلتهم خسارة على حدة

٢٤٢٣- توفيقهم على البلاط إكليل
ولم يدم في عهدكم ذليل

٢٤٢٤- إن الحلم يصدر من الفحول
إن شابها الشبان أو الكهول

٢٤٢٥- إدارة الرعية من أهل القلم
احتواء الأرض بسيف ما ظلم

٢٤٢٦- بسيفنا نغزو البلاد يمكن
إدارة دون القلم لا يمكن

٢٤٢٧- كم شعوب نخضعهم بسيوفنا
لا يستمر الحال هم بصف خصمنا

٢٤٢٨- بعدالة يحسن القلم الإدارة
وقد سبق من ربنا الإرادة

٢٤٢٩- يا مليكي قلت لكم أعلم
ربي عليم بكل ما لا أعلم

٤,٧,٣. أسلحة القَرَخانيون:

بحسب معلومات يوسف خاص حاجب، كانت أسلحة جيش القَرَخانيون تتألف من: القوس، والفأس، والرمح، والخنجر، والسيف، والمطرقة، والدرع، والترس، والمغفر. هذه الأسلحة تنقسم إلى قسمين ؛ فأسلحة الهجوم شملت القوس، والسيف، والفأس، والرمح، والخنجر، والمطرقة، بينما كانت الدروع، والترس، والمغفر تستخدم للدفاع.

اهتم سلاطين القَرَخانيون بجودة صناعة الأسلحة اهتمامًا كبيرًا، إذ كانت صنعوها من أفضل أنواع الفولاذ، خاصةً السيوف، والفؤوس، والخناجر. ووفقًا للمصادر التاريخية، كانت المطرقة من أبرز الأسلحة الهجومية التي اعتمد عليها جيش القَرَخانيون في هجماتهم على الأعداء.

٤,٧,٤. في كيفية خوض المعركة:

عند حديث الحاجب يوسف عن خوض المعركة، ركّز على الجوانب التنظيمية والتدابير الاستراتيجية والتكتيكية التي تتطلبها الحرب بشكل جاد

ومفصل. يمكن تقسيم توجيهاته إلى عدة نقاط كما يلي:

١. **التنظيم والتجهيز:** يجب إعداد الجيش وتجهيزه بكافة الوسائل والأدوات المطلوبة قبل الدخول في المعركة، بما يضمن الانضباط والتنظيم بين صفوف الجنود.

٢. **الاستراتيجية:** ينبغي وضع استراتيجية محكمة تتناسب مع ظروف المعركة وطبيعة الأرض وقوة العدو، بحيث تحقق الأهداف بأقل خسائر ممكنة.

٣. **التكتيكات العسكرية:** أكَّد الوزير الحاجب يوسف على أهمية استخدام تكتيكات متنوعة مثل الالتفاف، والمباغتة، والهجوم من مواقع غير متوقعة لإرباك العدو والسيطرة على الموقف.

٤. **الدعم المعنوي:** شدد على أهمية رفع الروح المعنوية للجنود، حيث يؤدي حماسهم واندفاعهم إلى قوة قتالية أكبر، مما يزيد من فرص النصر.

٥. **المراقبة والسيطرة:** خلال المعركة، ينبغي أن يتابع القادة مجريات الأحداث بدقة، وأن يكونوا مستعدين لتعديل الخطة بسرعة استجابةً لتغيرات الميدان.

٦. **عقد المجلس العسكري:** كان القَرَخانيون يعقدون مجلسًا عسكريًا قبل خوض أي حرب، حيث كانوا يتناقشون بعمق في الأمور المتعلقة بالحرب ويستعرضون جميع التفاصيل لاتخاذ القرار النهائي. فإذا تم الاتفاق في المجلس العسكري على خوض الحرب، يتم تحديد عدد الجنود المشاركين، وتوقيت بدء العمليات، وتعيين القائد الأعلى للجيش. كان يشارك في المجلس العسكري الخاقان، والأمراء، وكبار البكوات، وزعماء

القبائل الكبرى، وغالبًا ما يتولى الخاقان بنفسه مسؤولية قيادة القوات في المعركة.

٧. **تشكيل جيش حراسة خاص:** لتعزيز حماية الخاقان، والحفاظ على الانضباط بين القوات، كان القَرَخانيون ينظمون وحدة خاصة للحماية تُعرف بـ «يُرتُوغ» (الحرس الحامي). وعندما يتقدم الخاقان لقيادة الجيش إلى المعركة، تتولى هذه الوحدة الخاصة حمايته، محاطة به ومتقدمة في الصفوف الأمامية. كما كانت هذه الوحدة تحمل راية الدولة القَرَخانية، والتي تتميز بخلفية من القماش الأحمر القاني ومزينة بشعار شجرة أرز ذهبية بثلاثة فروع على جانب وستة على الجانب الآخر. بالإضافة إلى ذلك، كانت ترفع أعلامًا ورايات أخرى إلى جانب رموز الحرب المصنوعة من الذهب والفضة، والتي تشمل رؤوس الرماح والأدوات القتالية، لتظهر بشكل مهيب وملفت خلال تقدم الجيش.

٨. **معرفة حال العدو وحفظ سره:** كان القَرَخانيون يهتم أهمية كبيرة لمعرفة حالة العدو والتأكد من سرية تحركاتهم، مما يساهم في تحقيق التفوق الاستراتيجي. كان يتم تنظيم وحدات خاصة تُسمى «توتقاق» و «پەزەك»، حيث كانت تقوم الأولى بمهاجمة واستهداف طلائع العدو، وإذا تمكنوا من القبض عليهم، كانوا يعذبونهم للحصول على المعلومات (أي «التيل») حول خطة العدو. أما «پەزەك»، فكانت تتكون من فرسان سريين يرسلون تقارير عن حالة العدو، مما يساعد على جمع المعلومات الاستخباراتية الدقيقة في وقت مبكر من المعركة. هذا النظام كان جزءًا من استراتيجية القَرَخانيون لضمان تحقيق النجاح العسكري عبر القدرة على استشعار التحركات العدائية في الوقت المناسب، مع الحفاظ على سرية خططهم الخاصة.

٩. **اختيار موقع المعركة:** كان له أهمية كبيرة في استراتيجية الحاجب يوسف العسكرية، حيث كان يشدد على أن الموقع يجب أن يكون مناسبًا للدفاع ويمكّن الجيش من الانسحاب بشكل آمن إذا استدعت الحاجة. كما كان يشير إلى ضرورة توافر مصادر المياه القريبة والقدرة على إشعال النيران في حال تعرض المعسكر للهجوم. وكان يفضل أن المقر العسكري يجب أن يُنشأ في مكان مرتفع لسهولة مراقبة المنطقة المحيطة. بناء برج قرب مقر القيادة كان أمرًا أساسيًا لزيادة المراقبة والأمن. في الليل، كانت إشارة الإنذار تتم من خلال إشعال شعلة على البرج، مما يُنبه الجنود للاستعداد لأي تهديد من العدو. وكانت إجراءات الأمان في المعسكر صارمة للغاية، حيث كان يتم تطبيق «البارول» (كلمة المرور) لضمان عدم تسلل الأعداء أو أي عناصر غير مأذونة. إذا التقى جنديان بالقرب من مقر القيادة في الليل، وكان أحدهما غير مدرك لكلمة المرور، كان يُعاقب فورًا، مما يعكس مستوى الانضباط العالي والحرص على حماية المعسكر وسرية تحركات الجيش.

١٠. **الهجوم ليلاً:** يُعتبر الهجوم ليلاً من أنجح الاستراتيجيات للحد من الخسائر وضمان تأثير مفاجئ على العدو، وفقًا لما ذكره يوسف خاص حاجب. حيث يشير إلى أن الهجوم في الظلام يكون أكثر فعالية لأنه يُصعب على العدو رؤية تحركات القوات وتنسيق دفاعاته بشكل جيد. ويشدد على أن الهجوم الليلي يحقق عنصر المفاجأة ويضع العدو في حالة من الغفلة والارتباك، مما يتيح فرصة أكبر للجيش المهاجم للسيطرة على الموقف بسرعة. كما يقول: «نفذ الهجوم بحذر، واغتنم فرصة الليل، حيث إن تحركاتك ستكون أقل وضوحًا في الظلام».

يقول فيه:

إن تهجم هجوم افعل في الظلام
استعمل قهرا والنصر أفضل

١١. الحروب النهارية: عند اتخاذ قرار بشن هجوم نهاري، تكون الخطوة الأولى التي يجب على القائد القيام بها هي رفع معنويات الجنود. من خلال التشجيع والتحفيز، يجب أن يعمل القائد على تعزيز الثقة لدى الجنود وإعدادهم نفسيًا للمعركة. كما يجب إرسال الجنود الأكثر خبرة وكفاءة إلى الجبهات الأمامية، حيث يكونون أكثر قدرة على التعامل مع التحديات والمخاطر. علاوة على ذلك، ينبغي وضع بعض الجنود في مواقع استراتيجية لصد الهجمات المحتملة أو لتكثيف الضغط على العدو. في هذه الحالات، يكون دور القائد بالغ الأهمية ؛ يجب أن يظهر شجاعة وقيادة خلال المعركة، بحيث يكون هو نفسه في الصفوف الأمامية ويقدم نموذجًا يحتذى به للجنود. هذا النوع من القيادة يعزز الروح القتالية ويشجع الجنود على القتال بحماس وجرأة.

١٢. ملاحقة العدو: ينصح الحاجب يوسف بضرورة ملاحقة العدو لمسافة محددة بعد هزيمته وبدء انسحابه الحقيقي، مع الحرص على أسر بعض القوات المنسحبة لتعزيز قوة الجيش المنتصر وإضعاف معنويات العدو. هذا الأسلوب يسهم في رفع الروح القتالية للجيش المنتصر، لكنه يحذر من مخاطر نصب العدو فخاخًا أثناء انسحابه، حيث يمكن للعدو استدراج القوات الملاحقة إلى كمين مفاجئ. كذلك، يشدد على تجنب مطاردة العدو لمسافات بعيدة، لتفادي انفصال الجيش عن خطوط الإمداد وعزله، مما قد يعرضه لخطر خسائر كبيرة.

◄ في القائد:

١. **خصائص القائد**: يضع الحاجب يوسف معايير دقيقة للشخص الذي يتولى قيادة الجيش، حيث يجب أن يتمتع بصفات أساسية مثل الصدق والنزاهة، الخبرة العملية، وعدم التكبر، والتواضع. ويشير أيضًا إلى أهمية أن يكون القائد شجاعًا وجريئًا، قادرًا على اتخاذ القرارات بحكمة، وذو تدبير وذكاء. كما يشدد على أهمية العقلانية واليقظة لدى القائد، إضافة إلى صفة الحنكة التي تمكنه من التعامل مع الظروف والمواقف الصعبة بمرونة وذكاء.

٢. **مهام القائد**: يرى الحاجب يوسف أن من أهم مهام القائد العسكري، إضافة إلى قيادة الجيش لتحقيق النصر، هي العناية بالجوانب الإنسانية والتنظيمية بعد المعركة. فالقائد ليس مسؤولًا فقط عن هزيمة العدو، بل يجب أن يسعى لعلاج الجرحى، والعمل على تحرير الأسرى، وتقديم الدعم والرعاية لأسر الشهداء كي يشعروا بالرضا والإنصاف. كما يجب عليه أيضًا تكريم المكافحين والمتميزين من الجنود عبر تقديم المكافآت لهم.

٣. **التجنب من الحروب غير مضمونة**: الحاجب يوسف يؤكد على أهمية تجنب الدخول في معارك غير مضمونة النتائج، ويشدد على أن القائد الحكيم يجب أن يختار بدائل سلمية حينما يكون النصر غير مؤكد. ويشدد على أهمية التفاوض حتى بشكل مؤقت مع العدو لكسب الوقت والفرصة لتعزيز القوة والجهوزية.

٤،٨. رؤيته في اللغة والتفكير:

قدَّم الحاجب يوسف في قوتادغو بيليك نظرة فلسفية عميقة حول علاقة

الفكر باللغة، مؤكدًا على أن اللغة هي تجسيد مباشر لعقل وقلب الإنسان، وأداة تعبيرية تعبر عن فكره وحكمته العميقة. يرى يوسف أن اللغة ليست فقط وسيلة للتواصل، بل هي وسيلة لنقل جوهر العقل والقلب، مما يجعلها عنصرًا محوريًا في تكوين الفرد والمجتمع.

ركَّز حاجب على الأبعاد الجمالية والفلسفية والمنطقية للغة، معتبراً أنها أداة لنقل الفضائل الإنسانية والحكمة، وأكَّد على دورها في التعبير عن المشاعر والأفكار العميقة التي تسكن الإنسان. من خلال أبيات متعددة، يعبر حاجب عن أن اللغة تُجسد جمال الفضائل وتلعب دورًا حيويًا في تكوين العالم الروحي للإنسان، مما يُضفي عليها طابعًا أخلاقيًا وجماليًا عاليًا.

وكذلك رأى أن قدرات العقل واللغة ليست مجرد مواهب فطرية، بل هي مهارات مكتسبة تُبنى من خلال التجربة والتعلم. فهو يؤكد أن القدرة على التفكير ليست فطرية بالكامل؛ بل هي تتشكل عبر ما يكتسبه العقل من معرفة وأفكار. وبالمثل، يرى حاجب أن مهارة التعبير اللغوي ليست فقط موهبة يولد بها الإنسان، بل تتطور بحسب ما يكتسبه الفرد من خبرة وحكمة.

من هذا المنطلق، يشدد على أن الكلمة لا يجوز أن تُقال عشوائيًا، بل ينبغي أن تُنتقى بعناية لتكون موجهة نحو الخير والسمو الأخلاقي. فهو يُميز بين الكلمات الطيبة والسيئة، الجميلة والبشعة، مؤكدًا على ضرورة أن يكون التعبير اللغوي مفعمًا بالاحترام والحكمة. هذه الرؤية تُبرز إدراكه العميق لأهمية اللغة في بناء مجتمع متماسك قائم على الفضائل، حيث تعكس الكلمات المستخدمة شخصية المتحدث وقيمه الفكرية والأخلاقية، وتدعم في الوقت ذاته الروابط الإنسانية والقيم الإيجابية التي يسعى المجتمع لتحقيقها.

١٠٠٢- مصادر الكلام ذي مفالق
وعشر من الكلام مفاتحه

١٠٠٣- لأن ذا العشر لذيذ الطعم
والباقيات فلتة عسر هضم

١٠٠٤- هل للحدود من الكلام معينة؟
لخيره وشره مبينة

١٠٠٥- نفع الكلام إن وازنت أقوالا
من لبيب قد جرب الأحوالا

١٠٠٦- قد يكبر التصغير للتطبير
تبيض ذا اليد الوضيعة بيضا

١٠٠٧- إن شانت الأقوال في التفسير
تمحو الملامح كنافخ في الكير

١٠٠٨- وزيري المفوض قل لي صريح
كثير الكلام وحكمه استرح

١٠٠٩- جواب الوزير آيتولدي لسلطانه

١٠١٠- كثير الكلام كجسم شلل
يجب لربعه ثقل الملل

١٠١١- قليل الكلام وإن قل دل
حسب السؤال أجبت أقل

١٠١٢- كما قال فيه حكيم فهيم
زين الكلام ويشفى السقيم

١٠١٣- تكلم ذو العقل بالموازنة
حديثا شيقا لحدث وواقعة

١٠١٤- تسمع كثيرا هو الأحسن
شواهد العلم والعقل والألين

١٠١٥- نديمي لبيبي وسيم جسيم
قل لي حياتك أكن لك عليم

١٠١٦- فمن هو تسمعه حتى النهى
وتعطى الكلام لمن اهتدى

١٠١٧- لتسمع حبيبى من أهل العلم
وتعطيه بعده من يسمع يلم

١٠١٨- أكابر قوم هم المجتبى
وتعطيه نصحا لأولى النما

١٠١٩- كما قلت أنا تسمع كثير
وقلله أنت يكنلك سفير

١٠٢٠- بكثرة الكلام لم يكن يتفقه
وكثير من الطلاب يستمع

١٠٢١- وإن أصم واعلمن يدم به
وأحمق بحواسه يجهل به

١٠٢٢- يا صاحبي صحبتك المشوقة
لي سؤال إجابتك موفقة

١٠٢٣- هذا اللسان إذا نطق صوابا
ألم يسكتن ويصمتن ثوابا؟

١٠٢٤- لتسمعن سلطاني الفهيم
إن لم تحدث بأنك العليم

١٠٢٥- رب قول لقائله ذميتم
رب قول لقائل رحبتم

١٠٢٦- من أحسن الإحسان ذا اللسان
به نقول لربنا إيمانا

١٠٢٧- خالقنا خلقنا مليون مئين
وكلنا بلساننا رب العالمين

١٠٢٨- لا تركنن بقولك الإيمانا
وبالقلوب تكملن إحسانا

١٠٢٩- الأصل في القلب كذا تبيان
لساننا مرآته الرهانا

١٠٣٠- وإن نقضت بالصواب تحمدا
وإن نطقت بالشاذ تكذبا

١٠٣١- يحركن لسانك عن مستقيم
وتمسكن عن الفساد والنديم

١٠٣٢- وزمرة الخلق وخلقها عجيب
وصحيحا من الأمور يعيب

١٠٣٣- وإن صحت يقول ذا بكيم
محرج هذا السفيه جهيم

١٠٣٤- بعد الكلام انبسط الملك
وبالشكر توجه لخالقه مليكه

١٠٣٥- وأجزل بحمد وثناء
وأطنب بشكره ملتاعا

١٠٣٦- حزت بعلمك خيرا عميم
عديم تنتهي ربعي لك عبيد

١٠٣٧- فليت الأماني وآمل كذا
حماي مستقر بلاطي كما

١٠٣٨- ولا أدرى إني كيف أشكرك
فتشكر لنفسك لن أكفرك

١٠٣٩- فأوقف كلامه فيما هو
فتح الخزائن فأسكبها هبة

١٠٤٠- مدحه مليكه واعتز به
لسانه وامتدت يده

١٠٤١- وقلد الوسام له وأوزره
وملك العلم والإعلام

١٠٤٢ – وأبسط يديه على الرعية
حتى العدا قدمه التحية

٤,٩. رؤيته في الحقيقة والسفسطة:

قدَّم الحاجب يوسف في «قوتادغو بيليك» رؤيةً فلسفيةً متميزةً حول مفهومي الحقيقة والسفسطة، موضحًا أن التمييز بينهما يمثل جوهر الفلسفة ونظرية المعرفة. ويعتبر حاجب أن الحقيقة تمثل العمود الفقري لاستقرار المجتمع والأمة، في حين أن السفسطة والخداع يؤثران سلبًا على كل من الفرد والمجتمع، بل ويشكلان خطرًا على الدولة بأكملها.

في البيت ٩٩١، يشير حاجب إلى تأثير الكلمات في حياة الإنسان الروحية والاجتماعية، مشبهًا تأثيرها على الروح بتأثير الطعام والشراب على الجسد ؛ إذ يرى أن الكلمات الصادقة والصحيحة تغذي الروح وتدعم التماسك الاجتماعي، بينما تضعف الكلمات الزائفة من خداع وسفسطة الروح، وتؤدي إلى اضطراب العلاقات الاجتماعية. كما إن الحقيقة توفر أساسًا قويًا للأخلاق والقيم التي يقوم عليها المجتمع، بينما يؤدي الزيف إلى فقدان الثقة واهتزاز الاستقرار الاجتماعي.

وانتقد بشدة الحديث الفارغ والكاذب، معتبراً إياه سلوكًا خبيثًا يفتقر إلى الأخلاق ويؤدِّي إلى تمزيق النسيج الاجتماعي وهدم العلاقات بين الناس، بل قد يفضي إلى هلاك صاحبه وتدمير المجتمع. فهو يرى أن الكلمات التي تفتقر إلى الحقيقة وتحمل معاني زائفة يمكن أن تكون بمثابة آفة خطيرة، تهدد بانهيار الثقة وتماسك المجتمع.

لم يقتصر موقفه على تجنب الإفراط في الكلام فقط، بل يؤكد أن الإفراط في الحديث يسفر عن التهور وسوء التقدير ويمهد الطريق للخطأ والخداع. من

هنا، يدعو حاجب إلى الاعتدال في الكلام والتفكير العميق قبل النطق، مشددًا على أن الالتزام بالصدق والوضوح يضمن للفرد والمجتمع حمايةً من العواقب الوخيمة التي قد تترتب على الكلام الخادع والمضلل.

تمهد الطريق للخطأ والخداع. في هذا الصدد، يشدد على أهمية الاعتدال في الكلام وأخذ الحيطة، مشيراً إلى أن الالتزام بالصدق يحمي الفرد والمجتمع من العواقب الوخيمة التي قد تنجم عن الحديث الفارغ والمضلل.

ويليح بشدة إلى أن الكلام يجب أن يكون موجهًا لتوضيح الحقيقة وتعزيز الفكر وإبراز الخير والجمال الأخلاقي. ويؤكد في العديد من الأبيات في أماكن مختلفة على أهمية التزام الصدق في التعبير والابتعاد عن الزيف والضلال، مشيرًا إلى أن الأخطاء اللفظية والفكرية قد تؤدِّي بالمجتمع وحتى بالدولة إلى طريق خاطئ.

كما حذَّر من خطورة الانجراف نحو المسارات الخاطئة، مبيّنًا أن هذا قد يحدث على نطاق واسع، مما يؤثر على الدولة ككل. كما يوصي باستخدام الحكمة والمعرفة كأدوات أساسية لمواجهة الأخطاء وتصحيح المسار، مما يعكس رؤيته العميقة لأهمية العقل في قيادة الأمور وتصويب الأخطاء.

٩٨٧- أقول لكم فؤاده جميعه
إذا علم لساني ذا تفهمه

٩٨٨- ترهات من الجهول تلفظا
لأجل ذا علماؤنا تلفظ

٩٨٩- عوامنا جهالنا بهيمهم
لسانهم بجهلهم هلاكهم

١٠٠٠– إن سفيعا تستنطق تسفه
من عليم مغالق تفتق

١٠٠١– عوامنا إن تشبعوا تبقروا
ذو العقل بنطقهم تبحروا

١٠٠٢– إن شبع العوام ذا تحصنوا
احصنهم بهائم تحصنوا

١٠٠٣– ذو العلم في بحثه استضعفوا
أجسامهم وبعلمهم يسمنوا

١٠٠٤– موت البدن من فيهنا يمرق
وفاة الروح من الأذن يخترق

١٠٠٥– آية العلم هما شيآن
حلقومنا مصابة اللسان

١٠٠٦– كلاهما موجبة وسالبة
في كفة الميزان ذا مراقبة

١٠٠٧– إن أحكمت حلقومنا مصامها
قد أحسنت لساننا ألفاظها

١٠٠٨– الحنجرة إذا افتقد مصامها
قد ذهبت بالرونق بهاؤها

٤,١٠. رؤيته في بنءِ الأسرة:

يحتل في «قوتادغو بيليك» موضوع الأسرة والزواج والأخلاق الأسرية مكانة

مهمة، حيث يُنظر إليه كإحدى ركائز الفلسفة الاجتماعية والتربوية والأخلاقية. يعرض الوزير الحاجب يوسف في بعض الفصول رؤيته حول تكوين الأسرة وأسس الزواج، إلى جانب توجيهاته حول تربية الأبناء.

يتناول في الفصلين ٦٢ و٦٣ المبادئ اللازمة لتأسيس أسرة ناجحة، مسلطًا الضوء على دور الأخلاق المتبادلة بين الزوجين وأهمية البيئة العائلية المتزنة. كما يكرّس الفصلين ٦٥ و٦٦ للحديث عن آداب الضيافة والدعوات، مشيرًا إلى أن الكرم وحسن الاستقبال جزء من الأخلاق المجتمعية. هذه الفصول تبرز فهمه العميق لأهمية الأسرة باعتبارها نواة المجتمع ووسيلة لترسيخ قيم الفضيلة والاحترام المتبادل، وتوضّح دوره في تعزيز المبادئ الأخلاقية في العلاقات الاجتماعية.

فهو أعطى في «قوتادغو بيليك» مكانة محورية للأسرة، معتبرًا أن اختيار الزوجة يعد حجر الزاوية في بناء عائلة متماسكة ومستقرة. ويرى أن بداية التربية السليمة للأبناء تبدأ من انتقاء الزوجة المناسبة، التي يجب أن تكون متمتعة بالأخلاق والفضيلة، وهما الشرطان الأهم لبناء أسرة قوية وقادرة على إفادة المجتمع. ويؤكد أن الأسرة، باعتبارها مؤسسة اجتماعية، يجب أن تقوم على أسس أخلاقية سليمة تسهم في تعزيز تماسك المجتمع واستقراره.

وكذلك طرح رؤية شاملة في كتابه حول الجوانب المختلفة المتعلقة ببناء الأسرة، مثل اختيار البيئة المناسبة للعيش، وإدارة شؤون المنزل بفعالية، وأهمية استقبال الضيوف وإقامة العلاقات الاجتماعية بأدب واحترام. في هذا الإطار، يقدم توجيهات دقيقة حول شروط الزواج، مشددًا على أن الفضائل الأخلاقية هي الأساس الذي يضمن السعادة والاستقرار الأسري.

ويؤكد على أهمية التروي في اختيار الزوجة، ناصحًا بعدم التسرع في الزواج وأخذ الوقت الكافي للتفكير العميق والتأكد من حسن الاختيار، حيث

يضع مجموعة من الشروط التي يراها ضرورية في الزوجة المثالية، تشمل أن تكون غير متزوجة من قبل، وأن يكون وضعها الاجتماعي أو الاقتصادي أقل من الزوج، وأن تتصف بصدق مشاعرها تجاه زوجها، وأن تتحلى بالأخلاق النبيلة والجمال الروحي.

وفي البيت ٤٤٧٨ من الكتاب، يشير حاجب إلى أهمية الرضا المتبادل والاختيار الحر في الزواج، موضحًا أن على الفتاة أن تقبل الزواج بدافع من الحب الصادق والاختيار الحر، بعيدًا عن الغرض الخاطئ أو الإجبار، فالحب الصادق هو الأساس المتين الذي ينشئ زواجًا قائمًا على التفاهم والاحترام.

ويعرض رؤيته للزواج المثالي، حيث يناقش بعمق أربعة أنواع من النساء التي قد يواجهها الرجل، ويقدم تحليلاً دقيقًا يتماشى مع الواقع الاجتماعي والاقتصادي لزمانه. يوضح في الأبيات ٤٤٨٧ وما بعدها في الأبيات الأربعة أن الزواج من امرأة من عائلة ثرية، قد لا يجلب للرجل حظًا اقتصاديًا كما يظن، بل قد يؤدي إلى نتائج مأساوية في بعض الأحيان. يوضح حاجب أن الفوارق الاقتصادية والاجتماعية الكبيرة بين الزوجين قد تؤدي إلى نزاعات تنتهي إما بتفكك الأسرة أو بخضوع الرجل للهيمنة الاقتصادية للأسرة الغنية، ويعتبر كلا الخيارين بؤسًا وعدم سعادة.

لذلك، ينصح حاجب الرجال بتوخي الحذر وتجنب الزواج من هذه الفئة، ويدعوهم للبحث عن شريكة حياة من نفس الطبقة الاجتماعية أو من ذوات الأخلاق والفضيلة، معتقدًا أن التكافؤ في الطبقة والقيم الأخلاقية هو الأساس لزواج سعيد ومستقر. فهو يشجع في البيت ٤٤٧٩ الرجال على اختيار زوجات من الطبقات البسيطة ذات الأخلاق الرفيعة، معتبرًا أن هذا النوع من الزواج من شأنه أن يجلب الرضا والسعادة، ويعكس نزعته الشعبوية وتعاطفه مع العامة ورؤيته لخلق مجتمع قائم على الفضيلة والسعادة المشتركة.

في الأبيات ٤٤٨٧ وما بعدها من «قوتادغو بيليك»، يعرض الحاجب يوسف رؤيته حول الزواج من امرأة ذات جمال شكلي فقط، مصنفًا هذا النوع ضمن الفئة الثانية من النساء، ويقدم تحذيرًا بشأن الانجذاب المفرط للجمال الخارجي وحده عند اختيار الزوجة. يرى حاجب أن اتخاذ الجمال الخارجي كأساس للزواج لا يعتبر تصرفًا عقلانيًا، مؤكدًا أن الجمال زائل وقد لا يكون كافيًا لضمان حياة زوجية سعيدة ومترابطة.

وفي البيت ٤٤٨٤، يشير حاجب إلى مخاطر الانبهار بسطحية الجمال، موضحًا أن مثل هذا الزواج قد يؤدي إلى الندم إذا افتقر إلى الصفات الأعمق كالفضائل الأخلاقية والقيم النبيلة. يدعو حاجب في هذا السياق إلى تجاوز المعايير السطحية عند اختيار الزوجة، مشددًا على ضرورة الأخلاق والتفاهم كأساس لحياة زوجية مستقرة وسعيدة.

في البيت ٤٤٨٨ من «قوتادغو بيليك»، يتناول الحاجب يوسف الفتيات من ذوات الأصل النبيل، ويصنفهن ضمن الفئة الثالثة. يوضح حاجب أن الزواج من فتاة نبيلة ليس بالضرورة وسيلة للارتقاء الاجتماعي، بل قد يكون بداية للعبودية والتقييد بسبب الفوارق الطبقية التي قد تؤدي إلى تقليص حرية الرجل والتأثير على استقلاليته.

وفي البيت ٤٤٨٩، يتحدث حاجب عن الفئة الرابعة، التي يعتبرها الأمثل في الزوجة، حيث يرى أن الفتاة المثالية هي من تتحلى بالفضيلة والمعرفة. يشدد حاجب على أن الزواج من امرأة تمتلك أخلاقًا سامية وعلمًا يُعدّ منطلقًا لحياة زوجية سعيدة ومستقرة، مشيرًا إلى أن الفضيلة والعلم هما الأساسان اللذان يضمنان للزوجين حياة مليئة بالاحترام والتفاهم، مما يعكس رؤيته لعلاقة الزواج كعلاقة قائمة على التكافؤ الروحي والفكري.

كما يستخلص من تأملاته توصية مهمة، حيث يرى أن الزواج من امرأة تجمع

بين العقل والفضيلة هو الخيار الأمثل، إذ إن الزوجة التي تتمتع بهذه الصفات تصبح تجسيدًا لكل ما يمكن أن يبحث عنه الرجل من النبل والغنى والجمال. يشير حاجب إلى أن مثل هذه الزوجة المثالية قادرة على منح السعادة والرضا لزوجها ؛ لأنها تمتلك القيم الأخلاقية والمعرفة التي ترفع من شأن العائلة والمجتمع. ومن خلال هذا المفهوم، يحث حاجب الرجال على السعي لاختيار شريكة حياة تتسم بهذه الصفات، لأن الحكمة والفضيلة هما ما يضمن نجاح الزواج واستقراره، ويشكلان معًا أساسًا متينًا لبناء علاقة قائمة على الاحترام والتكامل المتبادل.

فهو يرفض الاتجاهات الدنيوية التي تشجع على النظر إلى الزواج كوسيلة لتحقيق ملذات عابرة أو لشهوات شخصية. يعبر عن ذلك من خلال مناقشته لفكرة الزاهد أودغورميش في الفصل الثاني والأربعين، حيث يؤكد على أهمية الارتباط القائم على القيم الأخلاقية والالتزام الأسري.

ينتقد حاجب الأفكار التي تروج لاستخدام الزواج لأغراض مثل التسلية أو الإنجاب بدون هدف واضح، مشددًا على أن هذه الاتجاهات تفتح الأبواب أمام الشيطان، مما يؤدي إلى عواقب سلبية على المجتمع. يؤكد على أن العلاقات الزوجية يجب أن تكون قائمة على الاحترام والتفاعل الإيجابي، وأن الزواج يجب أن يُنظر إليه كوسيلة لتحقيق السعادة والاستقرار، بعيدًا عن الانجراف نحو الشهوات والغرائز.

بالإضافة إلى ذلك، يحث حاجب على أهمية التعامل الصحيح مع النساء، محذرًا من الانجراف وراء الرغبات الدنيوية. يقدم نصائح للأجيال القادمة حول كيفية الحفاظ على القيم الإنسانية، مشددًا على أن الانغماس في الشهوات يمكن أن يؤدي إلى الفقر الروحي والهلاك.

يستند في توضيح رؤيته إلى أمثلة مأساوية من الأساطير والأحداث التاريخية،

حيث يسرد قصصًا تعكس العواقب الوخيمة التي يمكن أن تنجم عن تجاهل الأخلاق والقيم في العلاقات. من خلال هذا النهج، يسعى حاجب إلى تعزيز الوعي بأهمية اتخاذ القرارات الحكيمة في اختيار الشريكة، والارتباط القائم على المبادئ الأخلاقية التي تضمن حياة زوجية متوازنة وسعيدة.

في «قوتادغو بيليك»، يُولي الوزير الحاجب يوسف اهتمامًا خاصًا للعلاقات الاجتماعية في المجتمع، بما في ذلك العلاقات الأسرية، وعلاقة الجيرة، والصداقة، والضيافة. يوصي المؤلف بأن تُختار الجيرة بعناية فائقة، مشيرًا إلى ضرورة تجنب السكن بجانب أماكن غير آمنة مثل الأسواق الكبيرة، أو بالقرب من الأنهار الخطيرة، أو بجوار الحُكّام أصحاب السلطة المطلقة.

كما يُحذر من مصادقة الأشخاص المخادعين والمنافقين، ويشمل هذا القائمين بالفتنة، وأصحاب السلوكيات السيئة كمدمني الخمر. ويرى أن الحفاظ على الأسرة وإدارتها يتطلب مصادر دخل نظيفة وحياة منضبطة. ويحثّ حاجب على تجنب الانتقام، والابتعاد عن الثرثرة، وعدم الانشغال بالأمور التافهة.

وفي موضوع الضيافة، يلفت حاجب النظر إلى أهمية حضور المناسبات التي تحقق الفائدة المعنوية، وتشجيع التواجد مع الأصدقاء الذين يقدمون الدعم النفسي والمعنوي، ويوصي بعدم التواجد في كل المناسبات، بل اختيار المناسبات التي تُعزز من القيم والتواصل الإيجابي. عندما يتعلق الأمر باستقبال الضيوف، يؤكد على أهمية التجهيز الجيد والاستقبال اللائق، موضحًا أن الاحتفاء بالضيف يجب أن يعكس كرمًا صادقًا وتحضيرًا مدروسًا، ليعكس بذلك مشهدًا اجتماعيًا غنيًا بالقيم والمعايير الأخلاقية.

٤٤٧٥- في نظرة الفاحص الولهان بلقسة
ونقه الثوب بالأفراح بلسمة

٤٤٧٢ – اختر بما صلحت بالأخلاق والدين
وصنوها بالتقى من آل نسرين

٤٤٧٣ – اختر من بنت البلد ولا يكون ثيبا
من أب وأم طيبين الله يحب الطيبا

٤٤٧٥ – لأنها بس تحيبك ولا تميل غيرك
يحفظك مالا وعيالا تخصك

٤٤٧٦ – فلتكن أوطأ منك في المجتمع
لا تطاول بالقدر العالي تتعبك

٤٤٧٧ – استمع قولا لحكيم مجرب
اسأل مجربا ولا تسأل طبيب

٤٤٧٨ – قال تزوج من دونك في الربع حلالا
ترفع القدر بالتواضع لذي الجلال

٤٤٧٩ – لا تقل حسناء خضراء الدمن
تطلب الخلق الجميل فاحتضن

٤٤٨٠ – لا تكن زائدة في العمر كمان
فلتكن دون التكلم كل آن

٤٤٨١ – اطلب الأخلاق من دون الجمال
كل خلق بالحسن عينه كمال

٤٤٨٢ – لا تقل أصلي وفصلي أبدا
إنما أصل الفتى ما قد حصل

٤٤٨٣- اعلمن أن النساء أربع
واعدد من تلكمو أرستقراطية

٤٤٨٥- الثانية سبق بالجمال باهرة
الثالثة منهن بدر النسب مفاخرة

٤٤٨٦- الرابعة تبغي الإله رضوانه
هذه تصلح تكن زوجة مرجانية

٤٤٨٧- إذا طلب نفيسة ذوي التقى
بارك بها واقترن سعده بقى

٤٤٨٨- أقول لك صالحة وتتقي
من الإله حيوية بالبسيط تكتفي

٤٤٨٩- يا فتى متعلقا بغنيمة
لا تقع في الأسر قط لتبتغيه

٤٤٩٠- تستند هي بالغنى تتجبر
يكبس الضغط عليك تنفجر

٤٤٩١- يا فتى تبغي الجمال زهرة
أو وردة يضحك عليك زمرة

٤٤٩٢- كل من يبغى الجمال الفائتة
لكنها في طبعها تكون ظالمة

٤٤٩٣- تطاول الأشخاص والأعراض
أخاف تبقى في حكمها الإجهاض

٤٤٩٥- وإن كبار القوم وأولادهم
كبير التكبر أخاف عليك كبرهم

٤٤٩٦- إذا ظفرت من بها تقواها
أمراؤنا ساداتنا كما تبغاها

٤٤٩٧- وإن وجدت من بها الصفات
يقول الأتقياء إنها هيهات

٤٤٩٨- بارك الله بها أرزاقك
تصبر على أطراحك إلى أفراحك

٤٤٩٩- إن كان في أخلاقها السيادة
لها في الأمور كلها ريادة

٤٥٠٠- إن كان بالتقوى تربت
على الصلاح في كل أمر رتبت

٤٥٠١- إذا أنت ذو عقل تطلبها غدا
في طلبة الخير فلا تكن ها فاقدا

٤٥٠٢- إذا كان عندك أنثى صالحة
اجتهد لأجلك تكن فالحة

٤٥٠٣- إن جاءك الأولاد كالبدور
كن أنت معلما عليهم تدور

٤٥٠٤- وقبلا تزوجت زوجة صالحة
فتنشأ أولادك سليمة صالحة

٤٥٠٥- ربهم بأخلاق وعلمهم أدب
يعطيهم فضائل ليكسب

٤٥٠٦- زوجهم بوقته ذكرا أم أنثى
لترتاح وتستريح عليك الثناء

٤٥٠٧- كل الفضائل فليكسب الولد
يكد يجتهد لا يلعب نرد

٤٥٠٨- لا تطلق سراحه هو يكسل
الشطرنج والنرد سدى يلعب

٤٥٠٩- لا تترك البنت بغير زواج
تموت عليك المال من دون رواج

٤٥١٠- إن قلت لك قولا قاطعا
لم تولد بنت أو تولد ومات

٤٥١١- أن تولد أحسن لها تحت الأرض
لأن حياتها تخدش العرض

٤٥١٢- تحرس على الزوجة واحذرن
من كيدها ولا تكن من تُخدعن

٤٥١٣- احرس البيت من الأجانب
نظرة الغير يجلب لك العجائب

٤٥١٤- يا فتى إن ما رأيت الغير هذا
وإن رأيت يدق القلب هذا

٤٥١٥- احرس العين قبل إحساسك بها
وإن ما تشعرن فلا حب لها

٤٥١٦- لا تكن في السفرة ذكر وأنثى
وألا تكن في الأهل فتنة كبرى

٤٥١٧- لا تبرحن زوجتك من بيتها قط
وإلا تختل ميزان البيت قط

٤٥١٨- المرأة كاللحم إذا ما حافظته انتن
تقبيلها وتقليبها بنفسك أنت

٤٥١٩- عزز المرأة وأعطها ما تطلب
تتنعش وتنشط كلما تتقلب

٤٥٢٠- اقفل الباب عليها ولا يدخل أحد
غيرك إن دخل غيرك وعليه حد

٤٥٢١- ليس الوفاء من شيمة المرأة
كأنها شجرة ثمارها مرة

٤٥٢٢- لا تروقك ثمرتها فهون عليك
وغيرك الأبطال من جذره هلك

٤٥٢٣- رب رجال أشاوس بولوغها
طاهر على الأرض دون بلوغها

٤٥٢٤- كم من فوارس شاطوا الكرة
لم تبلغ الأهداف ولقوا حتفه

٤٥٢٥- لا يمكن الحرس عليها تمسك
الله وحده يمسك عفافها لك

٤،١١. رؤيته الحضارية:

الحاجب يوسف في كتابه «قوتادغو بيليك» لم يكتف بتمجيد العلوم أو تقديم إطراء عام لها، بل أبرز رؤيته الواسعة وإدراكه العميق لأهمية المعرفة متعددة الأبعاد ودورها في بناء مجتمع مثالي. يرى حاجب أن العلوم ليست فقط أدوات للمعرفة، بل سبل لبلوغ الكمال الإنساني وترسيخ القيم الحضارية، وهو يربط بين تطور المجتمع وفهم الإنسان لمحيطه الطبيعي والاجتماعي، مؤكدًا أن الازدهار الإنساني يعتمد على هذا التكامل المعرفي.

وفي هذا السياق، يشير إلى عددٍ من التخصصات العلمية المهمة، مما يدل على سعة معرفته وتقديره لتنويع العلوم في عصره، مثل الرياضيات، والفلك، والفلسفة، والمنطق، والطب، وعلم النفس، والتاريخ، والشعر والأدب، واللغويات، والقانون، والتعليم، والأخلاق، والعلم العسكري، والرياضة، والفلكلور. ومن خلال هذه الإشارات، يؤكد حاجب على أن العلماء هم أركان المجتمع وأساس نهضته، داعيًا إلى دعمهم وتشجيعهم للإسهام في بناء مجتمع متكامل يستند إلى المعرفة، مما يعكس رؤيته للمجتمع المثالي الذي يتأسس على قيم العلم والتقدم الفكري.

وقد قدّم الحاجب يوسف توجيهاته لحاكم عصره، بغراخان أبو الحسن بن سليمان أرسلان خان، مشددًا على أهمية السياسة الحكيمة في رعاية العلماء والشعراء والأدباء والاهتمام بهم. ويرى حاجب أن هذا الدعم ليس مجرد واجب على الحاكم، بل هو جزء من التقدم والتنمية، ويعدّ وسيلة لرفع شأن المجتمع وتحقيق ازدهاره.

من خلال هذه الرؤية، يعكس حاجب ثقافته الرفيعة ووعيه العميق بأهمية دور الحكام في دعم المعرفة وتشجيع العقول المبدعة، معتبرًا أن النهضة الحضارية ترتبط ارتباطًا وثيقًا برعاية الفكر واحتضان العلماء والمفكرين.

وقد عبَّر يوسف خاص حاجب، في الأبيات التي تلي البيت ٤٣٤١ من كتاب «قوتادغو بيليك» عن نظرة متقدمة وحكيمة لدور العلماء في المجتمع. فهو يرى أن التركيز على نقائصهم الشخصية أو انتقاد طبائعهم ليس له أي مردود إيجابي، لأن هذه الأمور لا تنتقص من قيمة إسهاماتهم العلمية. يؤكد حاجب أن العلم والمعرفة هما الجوهر، ويجب أن يكونا معيار التقدير، وليس العيوب البشرية التي قد تظهر لدى العلماء كما لدى أي شخص آخر.

٤٣٣٦ – بداية التعامل مع الناس الذراري
الصلاة والسلام لسيد الأبرار

٤٣٣٧ – وآله وصحبه ومن اهتدى
بهديه أصحاب ذاك المصطفى

٤٣٣٨ – تحبهم وتحترم من القلب الصميم
هم أفضل من قريب صحبة حميم

٤٣٣٩ – أولاده أحفاده وصحبه كرام
ابذل لهم كلهم من مال كرام

٤٣٤٠ – ابذل لهم النفس والنفيسا
لا تسأل الأصل والنسيبا

٤٣٤١ – ثم التعامل مع العلماء الأكرمين
هم سراج ملة عقيدة ودين

٤٣٤٢- حببهم حبيهم هم منورون
أعلم الناس بدين ومفسرون

٤٣٤٣- هم الفصل بين الحلال والحرام
وعلمهم بين الأنام متنامي

٤٣٤٤- تعلموا علوم دين منهم كما
تأخذوا منهم صواب فلاحا

٤٣٤٥- هم في الحقيقة أساطين ديننا
أصوله وفروعه يملينا

٤٣٤٦- وإن هم لم يوجدوا في أرضنا
حتى الحبوب لم نجد في ديننا

٤٣٤٧- هم سراج الأمة وشئونهم
وشجونهم أفراحهم أطراحهم

٤٣٤٨- أعطوهمو من مالكم وضيفوا
واخدموهم صبحا مساء وشرفوا

٤٣٤٩- وتحدثوا في مدحهم واسكتوا
عن عيبهم في غيبهم وتزاوروا

٤٣٥٠- لا تخشن في الكلام، بل وقروا
وأكرموهم دعاؤهم وذكرهم يوفروا

٤٣٥١- وتسمعوا كلامهم واستفتوهم
واقتدوا بسيرتهم وعطروا

٤٣٥٢- واستنفعوا بعلمهم وفضلهم
وفروا لهم الجهد واخدموا

٤٣٥٣- وإنهم أئمة ونحن نقتدي
ككبش للقطيع يهتدي

٤٣٥٤- تناقلوا أحاديث خير البرية
ندرتهم كواحد بالألف مئة

٤٣٥٥- كم صفوة من الكرام عندنا
ومنهمو كنخبة أطباء

٤٣٥٦- يعالج أمراضنا وهم دواء
دواؤهم دعاؤهم مباركا

٤٣٥٧- بغيرهم لا يمكن تعالجوا
مريضكم سقيمكم استحكموا

٤٣٥٨- في ذا الحياة صحيحنا يمرض
سقيمنا إلى السرير يسند

٤٣٥٩- صنو الحياة هو الممات فاعلموا
إن المرض صنو الممات عالجوا

٤٣٦٠- إلى الأطباء آتى المريض راجيا
شفاء بدوائهم وشافيا

٤٣٦١- صنف من المدركين جنا
لهم الرقية وقراءة يسن

٤٣٦٢- أهل الرقى نذهب إليهم حالا
رجاؤنا نعوذ من الجنة والناس

٤٣٦٣- إذا رجوت التمس منهم رقا
ويقرؤون الآيات من قرآن

٤٣٦٤- الأطباء لم يراعوا حقهم
أهل الرقا بدورهم أن يرفضا

٤٣٦٥- أحدهما يقول ذا الدواء
والآخر بالرقا ينزاه

٤٣٦٥- زمرة أهل المعرفة يعرف الرؤيا
هم شلة من معرفة مفسرا

٤٣٦٦- هم كرام يفسر رؤيانا
بشائر من الرؤى أمامنا

٤٣٦٧- كم من رئى ترى بها الحروبا
إن عبر الحكيم ذا به تسلما

٤٣٦٨- وإن تر فيه العجب كابوسا
تصدقن تمضي بها صروفا

٤٣٦٩- ذات الرؤى في أصله غريزة
الله خلق لخلقه عزيزة

٤٣٧٠- إذا ترى رؤيا به فظاعة
تقربن إلى الإله صروفا

٤٣٧١ – تقربن إلى الإله صدقة
إلى الفقير الفاقد قدر ذهبة

٤٣٧٢ – نتائج الرؤيا على التعبير
بما يشاء الله يفعل ما يريد

٤٣٧٣ – رحمة الله كل الرؤى أساسا
المفسر أو المعبر يفسر لا بأس

٤٣٧٤ – هذه الشلل حببهمو صديقا
أو صاحبا يعبرن حبيبا

٤٣٧٥ – علم الفلك من العلوم الباهرة
أهله أهل النجوم عباقرة

٤٣٧٦ – هذا العلم أصله من المهندسين
هائمين على الفلك وعارفين

٤٣٧٧ – هم رياضيون من أهل الفلك
أصله علم الحساب هي لك

٤٣٧٨ – علم الفرائض من حساب كسر
كل العلوم سكانه وهو القصر

٤٣٧٩ – بداية الحساب علم أربعة
جمع وكسر قسمة ضرب أربعة

٤٣٨٠ – علم المساحة والزوايا منفرج
والبروج من ها النجوم بالحساب ينفرج

٤٣٨١- ومزايا هندسة من معلم بطليموس
حركة الكرة لأرض من معلم إقليديس

٤٣٨٢- إن الحساب حساب يوم الآخرة
ويعلمن علم الحساب للدنيا والآخرة

٤٣٨٣- إن تختلط بالحساب وغيره
احترس من شر يوم الآخرة

٤٣٨٤- حتى العناية من مسير اليوم غد
روتين اليوم وليلة بالحساب

٤٣٨٥- وآية لهم الليل نسلخ منه النهار
(الليل ظلام) فإذا هم مظلمون

٤٣٨٦- والشمس تجري لمستقر لها
ذلك تقدير العزيز العليم

٤٣٨٧- كذا القمر (والقمر قدرناه منازل
حتى عاد كالعرجون القديم)

٤٣٨٨- لا الشمس ينبغي لها أن تدرك
القمر ولا الليل سابق النهار

٤٣٨٩- وكل في فلك يسبحون
وكل امرئ بالحساب يمترون

٤٣٩٠- وكل هذا بالأمور الميسرة
ولله من قبل ومن بعده مقدرة

٤٣٩١ – إن الشعر وجه قوم يؤتمن
بالفن والأدب وباللسان يلحن

٤٣٩٢ – والشعراء يتبعهم الغاوون
يقولون ما لا يفعلون

٤٣٩٣ – هم في المديح والهجاء يمرح
وفي النضال والنصال يمدح

٤٣٩٤ – أمضى من السيف أشعارهم
أصفى من الدم تأثيرهم

٤٣٩٥ – كأنه سفينة عند الغاب
لآلئ البحار زمرة مآب

٤٣٩٦ – هم في المديح عسل النحل
وهم في الهجاء كما حنظل

٤٣٩٧ – عزهم وأكرم كما ينبغي
واشترهم بالذهب بهم تفتدي

٤٣٩٨ – أعط في المديح عطياتهم
واشتر نفسك من هجائهم

٤,١٢. قوتادغو بيليك والبيان والبديع:

ومن المعروف أن الشعر عاطفي بطبيعته، فهو يحرك القلب والحواس ويعبر عن المشاعر بطريقة تهز الروح. كما يمتلك القدرة على خلق كلمات تنبض بالعاطفة وتؤثر في الإنسان، فهو ليس مجرد كلمات مقفاة أو موزونة وفق

معايير معينة، بل هو أداة لاستثارة العواطف ؛ لذا، فإن الكلمات التي تحمل تلك القدرة على التأثير في القلب وإثارة الشعور في النفس بعمق تُسمى شعرًا ؛ لأنها تتجاوز حدود الكلمات العادية وتصل إلى أعماق الأحاسيس الإنسانية.

وكذلك إن اعتبر أن الشاعر هو صانع للكلمات، فإن المعنى الأعمق يكمن في كونه مُحسًّا، أي الشخص الذي يشعر وينقل إحساسه بصدق وعمق من خلال الكلمات. قد يتمكن البعض من كتابة كلمات عاطفية، وقد يُصنفون شعراء، لكن القدرة على كتابة شعر يلمس القلوب ويثير المشاعر بعمق هو ما يميز الشاعر الحقيقي. فالشاعر الذي يستطيع أن يجعل كلماته تتحرك داخل نفوس قرائه، هو الشاعر الذي يُخلّد في الذاكرة.

إن قصائد الشعراء العظام التي بقيت على مر العصور لا تحمل فقط جماليات اللغة، بل قوة عاطفية تظل حية عبر الأجيال. إن طول عمر هذه القصائد يرجع إلى قدرتها على مزج العواطف مع الجمال الفني بطريقة تلامس مشاعر الناس في كل زمان ومكان. وبقاء كتاب «قوتادغو بيلك» على مدار ألف عام، وتناقله بين الأجيال، هو شهادة حية على المهارة الشعرية العالية التي امتاز بها الكاتب، إذ استطاع بأسلوبه الفني المبدع أن يأسر قلوب الناس عبر العصور.

كل من يقرأ هذا العمل الشعري العظيم «قوتادغو بيلك» ويغوص في أعماقه، يجد نفسه محاطًا بكنوز لغوية وأخلاقية. فإن السير في هذا البستان الأدبي يشبه الانغماس في عالم مليء بالألوان والروائح، حيث كل زهرة تحمل جمالًا فريدًا ورائحة خاصة. الكلمات هنا ليست مجرد تعابير عادية، بل هي جواهر تحمل بين طياتها عاطفة حية، ما يجعل القارئ يشعر بجاذبية لا تقاوم، تجذبه نحو عوالم عميقة من الجمال والإبداع.

فترجع قوة دوافع كتاب «قوتادغو بيلك» وأهميته إلى فصاحة المؤلف وبلاغته الفائقة في استخدام الكلمات، بالإضافة إلى معرفته الواسعة بالعلوم

الفنية وقدرته البارعة على توظيف الفنون الأدبية الدقيقة مثل التشبيه والمجازات، والاستعارات، والمبالغات، والإشارات. والانتقالات بين هذه المواضيع المختلفة جعلت من هذا العمل نموذجًا متميزًا للشعر الفني الراقي. فالمؤلف لم يكن مجرد شاعر يجيد هذه التقنيات، بل كان خبيرًا قادرًا على منح هذه الأدوات الفنية إحساسًا خاصًا يضفي جمالًا إضافيًا على شعره.

من الأمر الواضح إن كتابة الشعر الذي يهزّ القلوب ليست بالمهمة السهلة، بل تتطلب مهارة رفيعة وإحساسًا مرهفًا للوصول إلى تلك الطبقات العاطفية العميقة التي تلامس القارئ. إذ إن القلب، على الرغم من حجمه الصغير في المظهر، إلا أنه يشكل عالمًا كبيرًا يحتوي على كل مشاعر الإنسان وتجارب حياته. لذا، فإن الوصول إلى هذا القلب وتحريكه بتأثير عاطفي عميق يتطلب موهبة فنية فذة. قدرة الشاعر على جعل القلوب ترتجف من الإثارة والدهشة تأتي من القوة الخفية التي تكمن في الكلمات، وهذه القوة ليست مجرد كلمات مزخرفة أو إيقاعات، بل هي تعبير صادق عن التجربة الإنسانية، وهي ما تجعل شعره خالدًا في ذاكرة الزمن.

نرى هذه الجماليات في أسلوب البيان والفصاحة في تعبير المؤلف عن دخول الليل في «قوتادغو بيلك»، حيث يقدم تصويرًا بديعًا لهذا التحول الطبيعي بأسلوب يجمع بين البساطة والعمق، وبين الوصف الحسي والتأمل الفلسفي. يستخدم الشاعر في تصويره المجازات والتشبيهات بطريقة تجعل القارئ يشعر وكأنه يشاهد الليل وهو يتسلل تدريجيًا إلى الأفق، حيث تعتم السماء وتتغير ألوانها بهدوء، وكأن النهار يودع العالم ببطء ليترك المجال للهدوء والسكون، فيقول الشاعر:

٤٩٥٩– تغيرت وجه الشمس، واصفرَّت
وأظهرت الدنيا صافية كعِقْيَان

٤٩٦٠- تمرخت وجهها زعفران
وغيَّرت الدنيا لونها بالأزرق

٤٩٦١- واسودت السماء كحاجب العشاق
وبانت الدنيا كالزنكي

ومن خلال هذا الوصف، يظهر مدى قدرة المؤلف على الجمع بين التصوير الملموس والرمزية، إذ يعبر الليل عن الراحة والسلام، لكنه في الوقت نفسه يمكن أن يرمز إلى التفكير العميق والتأمل في الحياة. يعكس الليل في هذا التصوير جمالًا مهيبًا ومكانًا للهدوء والتفكير، وكأن الشاعر يأخذ القارئ في رحلة ليلية شاعرية تعبر عن تحول الأحوال والأزمنة بلمسة فنية عالية.

كما نرى هذه الجماليات في الفن والأدائيات البلاغية في تعبير المؤلف عن تتويج بغرا خان ملكًا في «قوتادغو بيلك». فقد أبدع الشاعر في تصوير هذا الحدث العظيم بأسلوب مليء بالفخامة والروعة، حيث يعبر عن عظمة السلطة والهيبة الملكية من خلال الأوصاف المجازية والاستعارات الفنية.

يصور المؤلف بغرا خان وهو يعتلي العرش كما لو أن العالم بأسره يتهيأ لاستقباله، فالسماء والأرض تتحدان في الاحتفال بهذا الحدث، والملوك تتوج ببركة القوة الإلهية. يستخدم الشاعر ألفاظًا توحي بالعظمة والاستقرار، وكأن هذا التتويج ليس مجرد حدث سياسي، بل هو حدث كوني يُغيّر مجرى الزمن ويقول المؤلف:

٦٤دفء الربيع قد أتى من مشرق
مرصوفة المسالك والطرق

٦٥عبث الأديم كفر على كافورا
زاهية في زينة مبهورا

٦٦صقع الخريف الأنام
دولة الصيف بدا إمام

٦٧ولى الشتاء وآخره بحوته
تبسم الربيع ذا بحمله

٦٨أشجارنا تحفها الألوان
مزدانة ديارنا أركان

٦٩بخلعة مخضرة أديمنا
فضفاضة مريحة لباسنا

٧٠سهولنا جبالنا عتوبنا
وديانا منخفض ديارنا

٧١أزهارنا بلا عدد ألوان
في عبق كافورها ولهان

٧٢نسيمها بدفئه قرنفل
عبيرها بعنبر مرتل

٧٣طيورها بوزها وقطاتها
صقورها بازيها شاهينها

٧٤أجواؤنا ساطعة البياض
فرساننا في ساحة الرياض

٧٥يطير وز يقع على أسرابها
تنوح طير حمامها قطاتها

٧٦روادها سواحل سابح
أجوائنا لترحها سارح

٧٧عددها جبالها شوال
في صبرها ونوحها جمال

٧٨شوخرورها ترنو إلى الحبيب
عروسة تدنو إلى القريب

٧٩حجل تنوح بضحكة تنادى
محمرة شفاها قتامى

٨٠زقزقة العصفور ذا سواد
نبراتها عروسة الميعاد

٨١بلابل شذيها ألوان
تلاوة الرسول بالقرآن

٨٢نخل الورود وبنورها تداعب
ونعاج تيوسها تداعب

٨٣بفيحة سماؤنا تمطر
أزهارنا بزهوة تعطر

٨٤نهارنا بليلها تمخترا
ببهجة قبلاتها تراشقا

٨٥تكلمت بزهوة بغالنا
وجاهة خاقاننا يقودنا

٨٦تقول فق واستيقظن الآن
واستمع كلام ذي الولهان

٨٧عشت العصور مرملا مزملا
بخلعة ديباجة قلنسوا

٨٨لخاننا الأجلة تكدست
إذا تبل لخدمته تمرست

٨٩ارتعدت سحاب وانتشعت
طبلات خاقانا وانفرجت

٩٠بالوهلة الأولى خضعت رقاب
ثم رايات خاقان بها طراب

٩١ساد الأديم حكم ذي بغرانا
اسم تلألأ أرضنا خاقانا

٩٢عز الديانة عون دولتنا
تاج الورى دين لشرعنا

٩٣الله أعطى كل طلبته
ذا ثقة رافقه وأنعم رفاقه

٩٤الدنا قدس وجاهته
سعد البئيس عين الخير وجهته

٩٥– أعطى الزمان دولة وسعادة
درعا له عرشه صنو رياسه

٩٦ساد الزمان أمان عند طلعته
قدم هديته جندا وصولة

٩٧حمى الحمى عرصات سلطته
أصناف مأدبة أوصاف همته

٩٨غنت طيور وتسابقت
في فرحة غمرت وتضاحكت

٩٩أرض المروج زهور صبغت
السهل والنجد والوديان قد خضرت

١٠٠–ومنها زهوة عبق وعنبر
بوجه صوم خادم وقنبر

١٠١– حسنوات تطوف بنا بخورا
وأخرى أريج الياسمين والنحورا

١٠٢– تردن الحظوظ عطوفا كما
تحسبن أن يحذمن من هاما

١٠٣– تهانى مهداة ثروة كما
وأخرى تمديد شذى الدجى

١٠٤– من الشرق يأتيه بحت كما
من الغرب يأتيه كما الفرقدا

١٠٥– تدنت خضوعا ذا ملكها
وهانت عداه كما أقبرا

١٠٦- تغشت ذئابنا صدى بسرمدي
سهدت عيون كمن لم يره

١٠٧- أمان الخلائن وقنو النظام
ساد البداية صنو المقام

١٠٨- لمن رام اللقاء بذل وجودا
ليلقى الخاقان بحرا لجود

١٠٩- تنحى من أرضنا جور وظلم
وفاء وفاق وئام وغنم

١١٠- إذا أرام خلق الله كسباتعبا
ليقدم ويعمل بقلب بعتبنا

١١١- شريف النفس أتقاها قليل
تقدم نحو هاتيك الظليل

١١٢- كريم النفس ـ البطل بذرا
فلا تحرم زمانك لا تبق عزيز

١١٣- هناك الإله ـ وحكما
لتذكر دواما وتسجد شكرا

١١٤- تذكر مقولا بقول السلف
تربع وليه عرش الخلف

١١٥- كمال السلطة وحكما وجب
لحسن الإدارة يغزو الخلب

١١٦ – ألوفا من الأيدي تمد التحف
وهاكم قوتادغو بيليك ترف

١١٧ – هدايا الأبادي من جزر
يبقى كتابي ليوم الكدر

١١٨ – نعيم تدفن ثم تذوب
وكل الكتاب يسرى يشوب

١١٩ – كتبت الحكم طي الكتاب
ليبقى عليكي مثل الكباب

١٢٠ – إلهي زده وانصرله
مجيب الدعاء وكن سندًا له

١٢١ – وعافية بصحة إخوانه
هاماته أهله وأعوانه

١٢٢ – لتمطرن سماؤنا الأزهارا
تمخضت براعم أحرارا

١٢٣ – لتشربن جفافنا الخمورا
لتسقين أشجارنا الجذورا

١٢٤ – زماننا دورانها يدم كما
ليخضعن رؤوس ذي أعدائنا

١٢٥ – حتى ترى أرض الدنا مسخبة
أو نرى حمراتها مخضرة

١٢٦- وليعش خاقاننا دوما نما
حساده غيرتهم حمر كما

١٢٧- مطالبه مجابة عند الدعاء
يعينه يساعده تنكري خدا

١٢٨- حلاوة الحياة له دوما
وعمره يطول مثله لقمان

فاللغة المستخدمة في هذا السياق مليئة بالرمزية، حيث يصبح بغرا خان رمزًا للعدل والحكمة، ويظهر كأنه نور يضيء سماء المملكة، لينشر الاستقرار والسلام بين رعيته. هذا التعبير الفني ليس مجرد سرد لتتويج ملك، بل هو احتفاء بالقيم العليا التي يجسدها الحاكم الصالح في الأدب الإسلامي التركي.

وكذلك استخدم الشاعر في «قوتادغو بيلك» أساليب البلاغة مثل التجنيس وإرسال المثل ببراعة فائقة، مما أضفى على الكتاب طابعًا أدبيًا راقيًا. فالتجنيس، نجده في النصوص الشعرية كوسيلة لجذب انتباه القارئ وإثارة دهشته، حيث يربط بين المعاني المختلفة بشكل فني ممتع.

أما إرسال المثل، فهو من الأساليب البلاغية التي تدل على حكمة المؤلف وبراعته في استخدام الأمثال والحكم لتوضيح الأفكار وتجذيرها في نفوس القُرّاء. فقد استخدم الشاعر الأمثال لتقديم دروس أخلاقية وحياتية بشكل مختصر، مما يجعل الفكرة تصل إلى المتلقي بقوة ووضوح. يقول المؤلف[١]:

٦٣٤١- كان الوزير في مأتم أياما
ثم عاود حياته في البلاط تماما

[1] قوتادغو بيليك هققيده بيان، ص 47.

٦٣٤٢- وقد نسي مأتمه ومناسبة
أكل شرب عاد العمل ميعاده

٦٣٤٣- نعم المقال مقالة الأستاذ
قام العليم بعلمه المعتادة

٦٣٤٥- لو أسرك غم الزمان وعاود
يوما يزول تأثيره لتبسم معتادة

٦٣٤٦- وهكذا قانون ذا الحياة
يوما يدوم يوما يزول سعاة

وكذلك يقول:

٦٤٥٩- أين الزهادة في صفوهم تقواهم
يقل بحق هذا حرام أفواههم

٦٤٦٠- اسود القلوب بطعم الحرام
أين الحلال في عهدته كله حرام

٦٤٦١- اسمع حكيما وعالما بالأمور
هو محتسب بعلمه هو يدور

٦٤٦٢- اسود بالحرام صفاء القلوب
أهل العلم لم يعملوا بها المطلوب

٦٤٦٤- بقامتي المعتادة أسير الهواء
إذا بحت بسري أنا أهل الهوى

٦٤٦٥- تغير زماني عرفه وعادته

لفظه خلاف القلب تسوء غايته

٦٤٦٦- ضاع الوفاء حتى من المخلصين
تراكم الحرام لدى المفلسين

٦٤٦٧- ضاعت ثقة الناس على بعضهم
ومن تثق منهم نفاق في كلهم

٦٤٦٨- قرابة وصلة الرحم قد انتفت
بكلهم كما نفت صداقة من بعضهم

٦٤٦٩- انتفى الأدب من صغارنا
انتفى الحلم من كبارنا

٦٤٧٠- قرابة صداقة وصلة الرحم
انقلبت مصلحة شيطان الرجيم

٦٤٧١- موجودة أمانة باسمها فقط
ممن هو المؤتمن لا يوجد قط

٦٤٧٢- النصائح موجودة فمن يستمع
الأمر بالمعروف ميدانه اتسع

٦٤٧٣- صفة الأمانة من التجار ضاع
حرفيون جهلة أمره مستطاع

٦٤٧٤- أهل العلم أهل التقى قد ألجموا
لا يمكن جهاره بأمر وجهوا

٦٤٧٥- ضاعت عدالة حتى من حاكم

حتى حقوق يجهل عالم

٦٤٧٦- كلهم صاروا عبيد الهلل
إذا قلت اجتمعوا تفرقوا ملل

٦٤٧٧- كثرت جماعة في المساجد قل
نقصت جماعة كثير ابتدل

٦٤٧٨- ما يقول عالم ناصح فصيح
خياركم خيار لا يسمع نصيح

٦٤٧٩- أين هو؟ هو الصديق بصداقته
يصدك عن خير بحماقته

٦٤٨٠- الزمان تبدل أولا وأخيرا
لا تراه العيون هذا ابتلاء

٦٤٨١- المسلمون يتقاتلون يأكل لحم بعض
الكفار في راحة يساعد بعض

٦٤٨٢- السلب والنهب عند المسلمين
أتعرفون الحلال والحرام يا مؤمنين

٦٤٨٣- بحر الفساد هم واقعون ليل نهار
فأين علم القرآن والسنة نثار

٦٤٨٤- نشفت قلوبنا واللسان لان
غابت العدالة بقي اسمه الآن

٦٤٨٥- الأولاد صار أبا والأب ولد

الأولاد أمراء والآباء عبيد

٦٤٨٥- الحياة صعبت تعب تدبيره
زاد الحرص للدنيا قل الاعتبار

٦٤٨٦- الفقراء والأيتام لا يلقوا شفق
عدم الحنان كقلة الماء في وادي دمشق

ومن هذه الأساليب البلاغية استخدمها بشكل رائع، نرى عمق فهمه للغة ومهارته في توظيفها لإيصال معانٍ متعددة في سياق واحد لمنح النص جمالًا لغويًا وإضافة إليه عنصر التشويق، وتوضيح الأفكار بطريقة يسهل تذكرها.

وعبر عن فصل الربيع كما هي[١]:

صقع الخريف الأنام
دولة الصيف بدا إمام

ولى الشتاء وآخره بحوته
تبسم الربيع ذا بحمله

أشجارنا تحفها الألوان
مزدانة ديارنا أركان

بخلعة مخضرة أديمنا
فضفاضة مريحة لباسنا

سهولنا جبالنا عتوبنا
وديانا منخفض ديارنا

[١] ٧٢

أزهارنا بلا عدد ألوان
في عبق كافورها ولهان

نسيمها بدفئه قرنفل
عبيرها بعنبر مرتل

طيورها بوزها وقطاتها
صقورها بازيها شاهينها

أجواؤنا ساطعة البياض
فرساننا في ساحة الرياض

يطير وز يقع على أسرابها
تنوح طير حمامها قطاتها

روادها سواحل سابح
أجوائنا لترحها سارح

عددها جبالها شوال
في صبرها ونوحها جمال

شوخرورها ترنو إلى الحبيب
عروسة تدنو إلى القريب

حجل تنوح بضحكة تنادى
محمرة شفاها قتامى

زقزقة العصفور ذا سواد
نبراتها عروسة الميعاد

بلابل شذيها ألوان
تلاوة الرسول بالقرآن

نخل الورود وبنورها تداعب
ونعاج تيوسها تداعب

بفيحة سماؤنا تمطر
أزهارنا بزهوة تعطر

نهارنا بليلها تمخترا
ببهجة قبلاتها تراشقا

تكلمت بزهوة بغالنا
وجاهة خاقاننا يقودنا

تقول فق واستيقظن الآن
واستمع كلام ذى الولهان

عشت العصور مرملا مزملا
بخلعة ديباجة قلنسوا

لخاننا الأجلة تكدست
إذا تبل لخدمته تمرست

ارتعدت سحاب وانتشعت
طبلات خاخانا وانفرجت

٤,١٣. الحاجب يوسف والتصوف:

إن العلاقة بين الأخلاق والتصوف هي علاقة وثيقة ومترابطة. فالتصوف،

الذي يُعنى بالروحانية والتقوى، يسعى إلى تهذيب النفس وتطوير الأخلاق الحميدة، مما يجعله أحد أسس السلوك الإسلامي السليم. فالتصوف والأخلاق يساعدان على تحقيق التوازن في حياة الفرد، مما يمكنه من تحقيق السلام الداخلي والاستقرار النفسي.

فعبَّر الحاجب يوسف في كتابه «قوتادغو بيلك» عن فهم عميق لأفكار التصوف، حيث يرى أن الرضا والتقوى والزهد هي أساس للسعادة الداخلية وراحة البال. بالنسبة له، الرضا يأتي من التفكير في العواقب والاهتمام بالروحانيات. على الرغم من احترامه لأفكار التصوف، يظل تركيزه الرئيسي على العدالة وخدمة المجتمع.

فإن أحد أبطال الكتاب، أوغدولميش، هو تجسيد للحكمة والمعرفة، وهو شخصية كرست حياتها لخدمة العدالة وتحقيق المصلحة العامة.

تصوير الوزير يوسف للتصوف يظهر في الحوار بين الحاكم والصوفي الزاهد. فهو يعتقد أن الحاكم يجب أن يسعى للحصول على مشورة الزاهد، وليس العكس. ومع أن الزاهد يرفض التغيير أو الانغماس في ملذات السلطة، فإنه يشارك في الحوار من حين لآخر مع الحاكم ثم يعود إلى حياته البسيطة دون أن يتأثر بسلطة القصر.

من خلال شخصيات «قوتادغو بيلك»، الحاجب يوسف يعكس بواقعية جميع جوانب الحياة في ذلك الوقت، بما في ذلك التناقضات الاجتماعية والاقتصادية. تصويره للحياة ليس مثاليًا بالكامل، إذ يعكس التوترات الاجتماعية والمعايير الطبقية في المجتمع، مع الحفاظ على التوازن بين تقديم نصائح أخلاقية عملية وفهمه للواقع الاجتماعي.

النقد للزهد والانطواء:

أوغدولمش يرفض فكرة أن السعادة والخير يمكن تحقيقهما من خلال الانعزال

والاهتمام الشخصي فقط. إذ يرى أن الزهد، كما يمارسه أودجورميش، يؤدي إلى عدم الانخراط في القضايا الاجتماعية، وهو أمر يعتبره غير مثمر للمجتمع.

يُظهر هذا النقد أهمية المشاركة الاجتماعية، حيث يعتقد أوغدولمش أن الأعمال الصالحة والفضائل لا تنبع من الفردية فقط، بل تتجلى في العمل الجماعي والتعاون مع الآخرين.

أهمية النفعية الاجتماعية:

يرى أوغدولمش أن النفعية الاجتماعية، أي العمل من أجل مصلحة المجتمع ككل، هي الطريق الحقيقي للخير والسعادة. لذلك، يجب على الأفراد أن يشاركوا في تطوير مجتمعاتهم وتحسين ظروف الحياة.

وفقًا لهذا الفكر، فإن العمل من أجل المجتمع يعزز الروابط الاجتماعية ويخلق بيئة من التعاون والتضامن، وهو ما يُعتبر ضروريًا لبناء مجتمع قوي ومستقر.

تعزيز التضامن الاجتماعي:

يُبرز الوزير يوسف أهمية التضامن بين الأفراد في المجتمع، حيث يُعتبر التعاون بين الناس جزءًا أساسيًا من فلسفة الحكم والإدارة. إن تحقيق الأهداف الاجتماعية والسياسية يتطلب من الجميع العمل معًا والمساهمة في رفع مستوى معيشة الجميع. كما يشير إلى تقسيم العمل كعنصر حيوي لتحقيق التقدم، حيث كل فرد أو مجموعة تؤدي دورًا مهمًا يعزز من نجاح الآخرين، مما يخلق نظامًا متوازنًا يدعم التنمية الاجتماعية.

٤,١٤. الأخلاق وقوتادغو بيلك:

الأخلاق لغة تعني الطبع والسجية، وهي مأخوذة من مادة (خ ل ق). يُعتبر

«الخُلق» جمع «خَلق»، حيث يشير «الخَلق» بفتح الخاء إلى الهيئات والأشكال التي تُدرك بالبصر، أما «الخُلق» بضم الخاء فيشير إلى السجايا والطبائع التي تُدرك بالبصيرة[١].

من هذا التعريف، يتبين أن الخَلق والخُلق في الأصل هما واحد، لكن الفرق يكمن في كيفية إدراكهما ؛ فالخَلق يُعنى بالشكل الظاهر للإنسان أو الكائن، بينما الخُلق يُعنى بالصفات الداخلية والمزايا الأخلاقية التي تُظهر سلوك الإنسان وشخصيته.

وأما في الاصطلاح عرف العلماء بتعريفات مختلفة تكمل بعضها على بعض، فعرفه حج الإسلام الإمام الغزالي:

«الخلق: هو عبارة عن هيئة فطرية راسخة في النفس، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكرة وروية[٢].

وعرفه العلامة ابن القيم:

«الخلق: هيئة مركبة من علوم صادقة وإرادة زاكية وأعمال ظاهرة، موافقة للعدل والحكمة والمصلحة، وأقوال مطابقة للحق، تصدر تلك الأقوال والأعمال عن تلك العلوم والإرادات، فتكسب النفس بها أخلاقا، هي أزكى الأخلاق وأشرفها وأفضلها»[٣].

وعرفه من علماء القرن العشرين العلامة ابن عاشور:

الخلق: هو «السجية المتمكنة في النفس باعثة على عمل يناسبها من خير أو شر»[٤].

---

[١] ابن فارس، معجم المقاييس في اللغة، ص:٣٢٩. الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص: ٧٩٣. ابن منظور، لسان العرب، ١٠/ ٨٦.

[٢] الغزالي، إحياء علوم الدين، ٥٣/٣.

[٣] ابن القوم، التبيان في أقسام القرآن، ص: ١٣٥.

[٤] التحرير والتنوير ؛ الطاهر بن عاشور، ١٧١/٩.

ومن خلال هذه التعاريف يظهر أمامنا أن الأخلاق هي ملكة راسخة في النفس يسوق الإنسان إلى فعل الفضيلة وترك الرذيلة.

الحاجب يوسف في كتابه «قوتادغو بيلك» يسعى بوضوح لترسيخ الأخلاق الفاضلة ليس فقط بين الحكام، ولكن أيضًا بين عامة الناس. من خلال رؤيته، يُظهر أن الأخلاق هي الأساس الذي يبني عليه المجتمع المثالي، حيث تتجسد قيم العدالة والفضيلة في سلوك الأفراد.

يدعو يوسف إلى ضرورة التزام الحكام بالقيم الأخلاقية، ويعتبرهم قدوة يجب أن يحتذى بها ؛ لأنهم يتحملون مسؤولية إدارة شؤون الرعية. كما يشدد على أهمية التعليم والتوجيه للأفراد في المجتمع، حتى يتمكنوا من فهم واكتساب القيم الفاضلة التي تؤدي إلى تحسين حياتهم ومجتمعاتهم.

من خلال طرحه لهذه الأفكار، يسعى الحاجب يوسف إلى إلهام المجتمع للوصول إلى مستوى عالٍ من الأخلاق والسلوكيات، مما يساهم في تحقيق العدالة والرفاهية للجميع.

فنعرض بعض المقتطفات المتعلقة إلى الأخلاق الفاضلة من كتاب «قوتادغو بيلك» كالتحلي بالعدالة في المعاملات مع الرعية، والتعامل مع الآخرين، وفضائل العقل والحكمة، والتقوى، والزهد، والنزاهة والشفافية، والنية الصادقة، والمسؤولية الفردية، والسعادة والرضا، والقناعة، وخلق الحرفين والكاسبين وغيرهم من مكونات الأساسية للمجتمع.

في الحلم:

١٢٩٤ - الحلم واللطف صفات الرجال
يوصل مرامه دنيا المآل

٢٤٢٤- إن الحلم يصدر من الفحول
إن شابها الشبان أو الكهول

٢٤٧٣-العلم والحلم والتواضع صفات
لحاجب البلاط إن ظفرتم هاته

في الكرم:

١٢٨٧- صالح ومن جمعه
صرفه في أهله ومجتمع

١٢٨٨- من أساء الحفظ في أمواله
ذهابها ووسمة في خده

١٤٠٦- اجمع المال واصرف في مصارفه
البذل والإنفاق خير الزاد يفي

في القناعة:

٢٦١٦- سقيم الطمع لم يشف قط
يصاحب غريمه حتى اللحد

٢٦١٧- نصح حكيم لمن فيه طمع
غنى النفس الزم سلوك اتبع

٢٦١٨- إذا أنت تبغى خزينا وكنز
اترك سفالة تثرى تَعزَّ

٢٦١٩- عبد قنوع بنفس شبع
خير من مليك صفاته طمع

٢٦٢٠- عبد قنوع ملك الزمان
مليك ذليل لخلقه مدان

في الحياء:

٢٢٠١- من هو يستحيى أبدا
وشره شر لا يستحيى أبدا

٢٢٠٢- مسك زمام أمورك بالأول
واحذر من الثاني واعتصم بالأول

٢٢٠٣- وقالوا أرزل الناس من لم يستح
وأرذل منه من يقول ولا يفي

٢٢٠٤- من الناس صفوة بهم الحياء
بهم يقتدى من مروة والصفاء

٢٢٠٥- احذر من لم يستح أبدا واحظر
ولا يستأهل الخير حرم انظر

٢٢٠٦- ترغب عن الوجه كلحان ذا
كخرقة البالية وعينه جحر الفأر ذا

٢٢٠٧- أحسن الصفات صفات الحياء
واحظر الخلق من لا حياء

في الصبر:

١٣١١- كن صبورًا الصبر مفتاح الفرج
ادفع الوساوس عن نفسك حرج

واحتوى الكتاب مئات الأبيات في خلق الملك والوزير والولاة والجنود والطهاة بجانب الصدق، والسخاء والقناعة والشجاعة والعفة، واللين، واجتناب التكبر، والحسد والخيانة، والجهل، والغضب، وغيرها. فأنا اقتصرت على أبيات عديدة لكيلا تطول.

٤،١٥. أسس الدولة في قوتادغو بيلك:

في «قوتادغو بيلك»، وضع الوزير الحاجب يوسف خمس أسس رئيسية لإدارة الدولة وضمان استقرارها وازدهارها. ويؤكد على أهمية هذه الأسس في تحقيق العدالة والتنظيم وتوفير بيئة تسهم في رفاهية المجتمع ككل.

فالأسس الخمسة التي أوردها الوزير يوسف لإدارة البلاد هي:

١ . **إدارة البلاد بالقانون:** يؤكد الوزير يوسف على أن سيادة القانون يجب أن تكون حاضرة في جميع أركان الدولة، ليضمن تنظيم الحياة العامة وإقامة العدل بين الناس، يقول فيها:

٢١٣٢– تمدن القوم بسيادة القانون
في ظل إليك ترعرع الزيتون

٢١٣٣– جزاؤهم حسما بالقانون
لمن خدم لملته يبذل من الهميون

٢١٣٤ ضع قانون عدل يا مجي إليك
لتستريح الخلق قائلون لبيك

٢١٣٥– إذا أسس القانون في البلاط
رضيت أمته قهر عن الرباط الأعادي

٢١٣٦- إن أهمل القانون في العباد
سوس الفساد يمخر في البلاد

٣٩٠٣- فاستقام إن اهتدى مليكنا
اجعل لنا نبينا شفيعنا

٣٩٠٤- واحكم القانون والنظاما
أهل البلاد تراهم أنعاما

٣٩٠٥- برحبة أنعم صديقا هزم عداء
باسمه وأمره لبوا النداء

٣٩٠٦- بعدله عطاؤه عم البلاد
شياتنا ذئب البلاد دون الرعاة

٣١١٧- بصارم القانون تحكيم البلاد
يسري النظم لأهلكم كل العباد

٣١١٨- إن الظلم مصادره ثلاثة
وكلها من نابت حساسة

٣١١٩- واحدها غفلة تولد الفتنة
وثانيها إهمال تولد الشقة

٣١٢٠- ثالثها طمع تولد الغيظة
ثالوث ذا يجب عليكم حيطة

٥٤٩٨- نظم القانون وننفي الفاسقين
لا يكون الشاذ من جملة الموثقين

٥٤٩٩- وكيف بي اصفهم بالتصفية
على قليل وقتي عمل بالمائة مئة

٦٢٦٥- قال الوزير مليكنا المحبوب
نصائح منكم كذا مطلوب

٦٢٦٦- إذا حكم في الخلق هذا القانون
صلاحنا والعباد والبلاد مضمون

٦٢٦٧- إليك يعيش في خلقه سعيدا
عدالة الإله بنا رصيدا

٦٢٦٨- يقظة الإيمان تحيرها النفوس
لو أن الموت أقام التروس

٢. **الجيش:** يعتبر الجيش المنظم عنصرًا رئيسيًا لإدارة البلاد وحمايتها. يركز يوسف على ضرورة تمتع أركان الجيش بالانضباط والمهارات، ويبين بالتفصيل السمات اللازمة للقيادات العسكرية التي تضمن نجاح الدولة وأمنها، يقول فيه:

٢٢٦٦- فيوم الخير يوم عند فيه
كما قال الوزير من قلب فيه

٢٢٦٧- فما الأمر من الجند رياسة
وفرد منه إذا خبل وآسه

٢٢٦٨- بما نوصف كفاءة رأس جند
إذا عمل وقاد الجند بسيف هند

٢٢٦٩- فما صفة الفرد الشرس في الوغى
وهدم صرخ أوتاد العدا

٢٠٤٤- قائد الجيش يجب جسورا
عند الوغى إمامهم حصورا

٢٠٤٥- ذو قلوب لير أسن الضعافا
يكن جيوشه أشاوسا ضرغاما

٢٠٤٦- فلتسمعن حكيمنا حيث يقول
إذا الأسد ترأس الكلب يصول

٢٠٤٧- إن عاكس الوضع إذا انقلب
تكأكأت سيوفهم مثل احطب

٣. **العلم والعقل:** يُعتبر العلم والعقل من أهم مبادئ الحكم في فكر يوسف خاص حاجب، حيث يرى أن الدولة تحتاج إلى قادة وحكام ووزراء يمتلكون المعرفة ويعطون قيمة للفكر والعقلانية، مؤكدًا على أن العلم والعقل هما شرطان أساسيان لإدارة الدولة بفعالية، يقول فيها:

٢١٨٤- وللوزير يبغي له أركان
أعمالهم في غيبته وحضرته سيان

٢١٨٥- كل الركن في خدمته تأتى الأمان
لدى امليك عن فعله ذمام

٢١٨٦- فليكن ذو العلم العقل رجحان
من أصله أصالة تقوى وإيمان

٢١٨٧- فليكن وزيرنا مختارنا
في عمله يرضى النفوس وجداننا

٢١٨٨- شطارة ثقافة ذو الشأن
بحر العلوم ذو العقول إيمان

٢١٨٩- كالفروع من جذرها رويان
الصلحاء أعمالا جزاؤهم ريان

٢١٩٠- فليكن من متقى وورع كما
يرحم عباده ويخاف رب السماء

٢١٩١- أهل التقى والنقاء تلك الشفاء
يريحنا من ألم في البرد رداء

٢٤١٦- هذه الوزارة والقيادة كلها
تبغى الرحال جامع بالخصال جلها

٢٤١٧- يا مليكي هناك من شيئين
كسيدين الحسن والحسين

٢٤١٨- أحدهما الوزير في يده القلم
وثانيهما قائدنا يرفع العلم

٢٤١٩- على يديهم يرتكز أمر العباد
باتحاد منهم تترقى البلاد

٢٤٢٠- في اختيار القائدين نجتهد
ليكونوا عمادنا إليهم نستند

٢٦٠٣- من زاول الحكم والسياسة
يجب عليه أن يعملن بكياسة

٢٦٠٤- لا نعتمد بالشخوص، بل للعلوم
رأي خطأ قد يحدث ونحن ملوم

٢٦٠٥- تجاربي علمني أستخدم العقل
حتى نجحت من البداية في كل حقل

٢٦٠٦- يا عالما بالعلم استعمله آن
الفارس المغوار في كل الزمان

٢٦٠٧- كل الأمور بالعلم والإدراك صار
نحو الهدف مستقيما باليسار

٢٦٠٨- رسولنا مبعوثنا سفيرنا
أهل العقول مدركون حقنا

٢٦٠٩- وهم رؤوف ورحمة وبركة
للبلاط والملك للشئون مدركة

٢٣٢٣- حتى العباد يبقى لها من معرفة
إن العلم لكل أمر قنطرة

٢٣٢٤- فلتفهمن أستاذنا يقول
بالعلم والمعرفة للعبادة تطول

٢٣٢٥- ولتقربن لطاعة بعلم وفقه
كل الأمور بالعلوم قد تثق

٢٣٢٦- قد تثاب من طاعة بالعلم
من غير علم عبادة لن يستقيم

٤. **دمج العلم والقوة في الحكم:** يشدد الوزير يوسف على ضرورة الجمع بين الحكمة العسكرية والعلم من أجل إدارة البلاد بشكل صحيح. يعتبر التوازن بين القوة والعقل أمرًا حيويًا لتحقيق الاستقرار والازدهار، ويرى أن الدولة لا يمكن أن تحقق النجاح دون هذا التناغم.

٥. **الأخلاق في الحكم:** يبين المؤلف أن الأخلاق والفضيلة هي ضرورة أساسية في جميع مسؤولي الدولة، من الملك وحتى أصغر موظف. يرى أن الأخلاق هي الأساس لإدارة البلاد ويصف القيم الأخلاقية التي يجب أن يتحلى بها القادة لضمان رفاهية المجتمع، يقول فيه:

٥٢٢٥- إن يحسن الخلق ملوكا أمراء
يجعل الناس جميعا أصدقاء

٥٢٢٦- إن فسادا اعترى صف الأمراء
يسود في الخلق الهراء ثم الافتراء

٥٢٢٧- من شرور زاد في الخلق الفساد
يفتر العزم ويجعل الحكم كساد

١٢٨٩- كن مستقيما في الخلق والآداب
جنة البهجة في الخلق والأصحاب

١٢٩٠- سعادة الدارين في الخلق الكريم
قالها المجرب صفته حكيم

١٢٩١- راحة البال في العدل والاستقامة
ونجاة أهل الله بالصدق والأمانة

الخاتمة:

في ختام هذا الكتاب القصير محتواه حياة الحاجب يوسف وكتابه الفريد «قوتادغو بيلك»، يمكن أن أقول: إن هذا العمل الأدبي يُعتبر شاهدًا على عبقرية صاحبه «الوزير الحاجب يوسف» وعمق فكره الذي استلهمه من روح الإسلام وقيمه السامية.

فلم يكن الحاجب يوسف مجردًا كاتبًا أو شاعرًا، بل كان وزيرًا عاقلاً ومفكرًا مصلحًا ذا رؤية شاملة، استطاع من خلال كتابه أن يقدم نموذجًا متكاملاً للحياة المثالية التي تتأسس على الأخلاق الفاضلة، والسياسة الحكيمة، والتنظيم الاجتماعي العادل.

لقد عكست حياة الحاجب يوسف التزامه بتطبيق المبادئ التي دعا إليها في «قوتادغو بيلك»، حيث اتسمت حياته بالبساطة والحكمة، وسعيه الدؤوب لتحقيق الخير في كل جوانب الحياة. ومن خلال هذا الكتاب، نجد توجيهات سياسية تهدف إلى بناء دولة قوية قائمة على العدالة والتقوى، ونصائح اجتماعية تركز على تعزيز العلاقات الأسرية والمجتمعية، بالإضافة إلى قيم أخلاقية تُلهم الأفراد للتعامل بإنسانية ورقي في حياتهم اليومية.

إن «قوتادغو بيلك» ليس بمجرد كتاب يُقرأ، بل هو إرث خالد يقدم دروسًا في كيفية بناء حضارة تُعلي من شأن الأخلاق والعقل. وبحثنا هذا يأمل أن يكون قد أضاء زوايا مختلفة من حياة الوزير الحاجب يوسف وكتابه، ليسهم في تعزيز الفهم العميق لهذا العمل البديع، الذي لا يزال يُلهم الأجيال حتى اليوم.

في الختام، أقول إن «قوتادغو بيلك» يبقى دعوة صادقة لإحياء قيم العدالة

والحكمة في السياسة، وروح التضامن والمحبة في المجتمع، ليظل نبراسًا يهتدي به الساعون إلى بناء حياة أفضل.

وصلى الله تعالى على خير خلقه محمد

وعلى آله وأصحابه أجمعين

الطبين الطاهرين

والحمد لله رب

العالمين

المصادر والمراجع:

١. ابن الأثير أبو الحسن علي بن محمد، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، (بيروت: دار الكتاب العربي - ١٩٩٧).

٢. ابن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب، (بيروت: دار صادر، ١٤٠٠هـ).

٣. ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد، غاية النهاية في طبقات القراء، مصر: مكتبة الخانجي، ١٩٥٢).

٤. ابن الفوطي الشيباني، مجمع الآداب في معجم الألقاب، تحقيق: محمد كاظم، (إيران: وزارة الثقافة، ١٤١٦هـ).

٥. ابن القيم، التبيان في أقسام القرآن، (القاهرة: مكتبة أنصار، ١٩٦٨م).

٦. ابن النديم، ١٩٧١ . الفهرست، طهران: مطبعة دانشگاه.

٧. ابن الوردي، عمر بن مظفر بن عمر، تاريخ ابن الوردي، (لبنان: دار الكتاب العربي١٩٩٧).

٨. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، بيروت: دار الفكر، ١٩٨٨).

٩. ابن رشيق، أبو علي الحسن القيرواني الأزدي، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: دار الجيل، ط. ٥، ١٩٨١م).

١٠. ابن فارس، معجم المقاييس في اللغة ؛ (طبعة دار الفكر – بيروت).

١١. ابن ماكولا، أبو نصر علي بن هبة الله، الإكمال في رفع الارتياب عن المؤلف والمختلف من الأسماء والكنى والأسماء، (الهند: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٩٦٥).

١٢. ابن منظور، لسان العرب، (بيروت: دار صادر).

١٣. أبو الحجاج مسلم بن الحجاج، الصحيح.

١٤. أبو الفرج بن الجوزي، المُنتظم في تاريخ المُلُوك والأُمم، مراجعة: نعيم

زرزور. تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، ط. ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٢).

١٥. أحمد جلايلي، إسهامات الأويغور الأتراك في الحضارة الإسلامية، رسالة دكتوراه، الجزائر، ٢٠١٦.

١٦. إدريس محمد محمود، تاريخ العراق والمشرق الإسلامي خلال العصر السلجوقي الأول، القاهرة: مكتبة نهضة الشرق، ١٩٨٥).

١٧. ادوارد كرنيليوس فانديك، كتاب بحور الشعر العربي عروض الخليل، (بيروت: دار الفكر اللبناني -١٣١٣هـ)

١٨. الأصبهاني، أبو الفرج: الأغاني، (دار الثقافة العربي). ج ٣، ص ١٢٣

١٩. اقطاي آصلان آبا، فنون الترك وعمائرهم، ترجمة، أحمد محمد عيسى، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الاسلامية، إستانبول، ١٩٨٧.

٢٠. بارتولد، تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمة، أحمد السعيد سليمان، (مصر. الهيئة المصرية العامة، ١٩٩٦).

٢١. البغدادي، إسماعيل بن محمد، هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، (إسطنبول: مطبعة وكالة المعارف، ١٩٩٥).

٢٢. جمال القرشي، محمد بن عمر، المخطوطات بجامعة تورونتو-كندا، رقم المخطوط-٦٦٢٠، ل ٣).

٢٣. حسين مجيب المصري، تاريخ الأدب التركي، مطبعة الفكر.

٢٤. الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، (بيروت: دار صادر، ١٩٩٥).

٢٥. خير الدين الزركلي، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط. ١٥، (بيروت: دار العلم للملايين، ٢٠٠٢).

٢٦. الداقوقي، حسين علي، الحركة الفكرية في عهد الدولة القراخانية، عمان: الجامعة الأردنية، ١٩٩٣).

٢٧. علي الصلابي: دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي، الناشر: مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، (القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦م).

٢٨. الذهبي، شمس الدين بن عثمان قايماز التركماني، سير أعلام النبلاء، (بيروت: دار الكتب العربي، ١٩٨٨م).
٢٩. الذهبي، شمس الدين، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، مصطفى عبد القادر عطا. (دار الكتب العلمية، ٢٠٠٦).
٣٠. زامباور، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، بيروت: دار الرائد العربي.
٣١. زكريا كتابجي، الترك في مؤلفات الجاحظ، (بيروت: دار الثقافة).
٣٢. السبكي، تاج الدين عبد الوهاب، طبقات الشافعية الكبرى، (فيصل عيسى البابي الحلبي).
٣٣. سعاد هادي الطائي، القَرَخانيون، (سورية: دار صفحات، ٢٠١٦).
٣٤. سعد حذيفة الغامدي، الفتوحات الإسلامية لبلاد الهند والسند وتاريخ الدول الإسلامية في المشرق حتى الغزو المغولي، (السعودية: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٩٩٦).
٣٥. السمعاني، كتاب المعجم، مخطوط محفوظ في المجمع العلمي العراقي تحت رقم ١١٠٠.
٣٦. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، طبقات الحفاظ، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣).
٣٧. صفا ذبيح الله، بلا ت. تاريخ ادبيات، در إيران.
٣٨. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله، الوافي بالوفيات، المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، (بيروت: دار إحياء التراث، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م).
٣٩. الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير ؛ دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس.
٤٠. عادل نويهض، مُعجم المُفسِّرين: من صدر الإسلام وحتَّى العصر الحاضر ط. ٣، (بيروت: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، ١٩٨٨).
٤١. عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، (دار الكتب المصرية، ١٩٩٦).
٤٢. عبد السلام بن عباس الوجيه، أعلام المؤلفين الزيدية، (مؤسسة الإمام زيد بن علي).
٤٣. عبد العزيز جنكيز خان، تركستان قلب آسيا، (القاهرة: طبعة الجمعية الخيرية

التركستانية، ١٩٤٥)

٤٤. علاء الدين عطاء مالك، الجويني، فاتح العالم، ترجمة السباعي محمد السباعي، (القاهرة: مركز القومي للترجمة).

٤٥. الغزالي، إحياء علوم الدين، (بيروت: دار المعرفة).

٤٦. فنديك ؛ كرنيليوس فنديك، اكتفاء القنوع بما هو مطبوع، أشهر التآليف العربية في المطابع الشرقية والغربية.

٤٧. الفيروزآبادي، القاموس المحيط ؛ (دار الفكر – بيروت).

٤٨. القرشي، عبد القادر بن محمد بن نصر الله، بلا ت. الجواهر المضية في طبقات الحنفية، كراتشي: مير محمد كتب خانه.

٤٩. القرشي، محمد بن محمد بن نصر الله بن سالم بن أبي الوفاء، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، ط.١. (الهند – حيدر آباد: مطبعة مجلس دائرة المعارف، ١٣٣٢ هـ).

٥٠. ماجدة مخلوف، تركستان الشرقية في نسيج الحضارة الإسلامية، مجلة المنار الجديد، ٢٠٠٣م، العدد، ٢٣.

٥١. محمد أبو زهرة، ابن حزم حياته وعصره، (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٥٤ م).

٥٢. محمد أمين بغرا، تاريخ تركستان الشرقية، ترجمة محمد قاسم أمين، (السعودية. طبعة الملك فهد، ١٤٢٩).

٥٣. محمد قاسم أمين، ١٤٢٩. الإعلام لبعض رجالات تركستان، السعودية. مكتبة ملك الفهد الوطنية للنشر.

٥٤. محمد قزويني، چهار مقاله (بالفارسية).

٥٥. محمود بن الحسين الكاشغري، ١٣٣٣، ديوان اللغة الترك، إسطنبول. طبعة دار الخلافة العليا.

٥٦. موسوعة أعلام الفكر الإسلامي. القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميّة.

٥٧. النرشخي، تاريخ بخارى، تعريب وتحقيق: أمين عبد المجيد بدوي، ونصر الله محمد بشير الطرازي، ط.٣. (القاهرة: دار المعارف، ١٩٩٣).

٥٨. النظامي العروضي السمرقندي، بلا ت. چهار مقاله- المقالات الأربعة. إيران. (باللغة الفارسية).

◄ المراجع الأجنبية:

59. نۇرۇللاھ، تارىخمىزدىكى خاقانلار، ش: خەلق نەشرىياتى، ص: 127.
60. ھاجى نۇرھاجى، 2009. قەدىمكى ئۇيغۇرلار ۋە قاراخانىلار، ئۈرۈمچى. خەلق نەشرىياتى.
61. ئابدۇشكۇر مۇھەممەد ئەمىن، قۇتادغۇ بىلىك خەزىنىسى، (ش: ئۇنىۋېرسىتېتى نەشرىياتى، 1999).
62. ئابدۇشكۇر مۇھەممەد ئەمىن، قۇتادغۇ بىلىكنىڭ ئىلمى قىممىتى توغرىسدا.
63. ئەھمەد زىيائى، تارىخى مىراس قۇتادغۇ بىلىك توغرىسدا مۇھاكىمە ۋە بايان.
64. لاڭ يىڭ، قۇتادغۇ بىلىك ۋە شەرىق غەرىب مەدنىيىتى، تەرجىمان: ئىمىن ئەھمىدى، ش: خەلىق نەشرىياتى.
65. يۈسۈپ خاس ھاجىپ، قۇتادغۇ بىلىك، قاھىرە نۇسخىسى، ش: خەلق نەشرىياتى.
66. يۈسۈپ خاس ھاجىپ، قۇتادغۇ بىلىك (نەسرى يەشمىسى)، مىللەتلەر نەشرىياتى، 2011.

67. Agop Dilaçar, Kutadgu Bilig İncelemesi, Türk DikKurumu Yay., Ankara 1995.
68. İhsan (2007). “Samarqandī: Shams al-Dīn Muḥammad ibn ‹Fazlıoğlu «Ashraf al-Ḥusaynī al-Samarqandī. في Thomas Hocke ؛. The Biographical Encyclopedia of Astronomers. New York: Springer.
69. Hüseyin AKYÜZ KUTADGU BİLİG’DE SOSYO-PEDAGOJİK VE SİYASAL SÖYLEM.
70. İbrahim Kafesoğlu, «Kutadgu Bilig ve Kültür Tarihimizdeki Yeri», Türkler, c. 5. Ankara 2002, Yeni Türkiye yayınları.
71. KUTADGU BİLİG. TDV İslâm Ansiklopedisi’nin 2002 yılında Ankara.
72. Ömer Soner Hunkan, 2014. ORTAK VE FARKLI YÖNLERİYLE ORTA ASYA’DA DEVLETLER ÜZERİNE ELEŞTİREL DEĞERLENDİRME. Turkiye.

ISBN 978-1-968407-31-5

9 781968 407315 >